مخطوطة

إلجام العوام عن علم الكلام

المؤلف

محمد بن محمد بن محمد (أبو حامد الغزالي)

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يا كبير الج

رسائل امام غزالی فهما
الجام العوام عن علم الكلام

قال الامام احمد بن حنبل ودستوره كتابه اذا اعتزم
ولدها في جام او شيء يطعم بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله
الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب
كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها كانهم
يوم يرونها لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ
ثم يشرق منه وينضح ما هو على صدرها

الجامعة

يا الله اللطيف
بك مراد
في الاولياء الغاء مصموم وفي الثالث ساكن
ما بوسع وعسر في وقت الطلوع
واني لي سيد محمد بن الورس
صاحب الزاوية الحمرا
ان السيد جليل الاصل الى الدهر
وقال ابن الاحمر
اسم اعظم في ياء عسر مجلل بسهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مجموعة الرسائل فيها الجام العوام عن علم الكلام للامام الغزالي

١

وكتاب المنقذ من الضلال والمفصح بالاحوال له ايضا

٢

وكتاب التفرقة بين الاسلام والزندقة له ايضا

٣

Süleymaniye Kütüphanesi
Kitap Şehid Ali Paşa
Yazma Eser No. 1712
Eski Kayıt No.

كتاب الجام العوام عن علم الكلام

تصنيف الشيخ الامام الاجل السيد الاوحد الزاهد صدر الدين حجة الاسلام امام الائمة قدوة الامة مقتدى الفرق ابي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي

قدس الله روحه ونور ضريحه وهو آخر تصانيفه

١٧١٢

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم وفق وسدد ويسر

الحمد لله الذي تجلى لكافة عباده بصفاته واسمائه
وتيه عقول الطالبين في بيداء كبريائه وقصر أعنة
الافكار دون جمى عزته وتعالى جلاله عن ان يدرك
الافهام كنه حقيقته واستوى في قلوب اوليائه وخاصته
واستغرق ارواحهم حتى احترقوا بنار محبته وملئوا
في اشراق انوار عظمته وخرست السنتهم عن الثناء
على جمال حضرته الا بما اسمعهم من اسمه وصفته وانبائهم
على لسان رسوله محمد خير خليقته صلى الله عليه وعلى اصحابه وعترته
اما بعد فقد سالتني ارشدك الله عن الاخبار الموهمة
للتشبيه عند الرعاع والجهال من الحشوية والضلال حيث
اعتقدوا في الله وفي صفاته ما يتعالى ويتقدس عنه من الصورة
واليد والقدم والنزول والانتقال والجلوس على العرش
والاستقرار وما يجري مجراه مما اخذوه من ظواهر الاخبار
وصوروها فانهم زعموا ان معتقدهم فيه معتقد السلف
واردت ان اشرح لك اعتقاد السلف وابين ما يجب على
عموم الخلق ان يعتقدوه في هذه الاخبار واكشف فيه
الغطاء عن الحق وابين ما يجب البحث عنه مما يجب الامساك
والكف من الخوض فيه فاجبتك الى طلبتك متقربا الى الله سبحانه
باظهار الحق الصريح من غير مداهنة ومراقبة جانب ومحافظة
على تعصب لمذهب ذي مذهب فالحق اولى بالمراقبة والصدق
والانصاف اولى بالمحافظة عليه واسال الله تعالى التسديد
والتوفيق وهو ما يجابة داعيه حقيق وها انا ارتب الكتاب على ثلثة

ابواب

باب في بيان حقيقة مذهب السلف في هذه الاخبار

وباب في البرهان على ان الحق في مذهب السلف وان مخالفهم فهو مبتدع

وباب في فصول متفرقة نافعة في هذا الفن

الباب الاول في شرح اعتقاد السلف في هذه الاخبار

اعلم ان الحق الصريح الذي لا مرا فيه عند اهل البصائر هو مذهب
السلف اعني مذهب الصحابة والتابعين وما نحن نورد بيانه
وبيانه برهانه فاقول حقيقة مذهب السلف وهو الحق عندنا
ان كل من بلغه حديث من هذه الاحاديث من عوام الخلق يجب عليه
فيه سبعة امور التقديس ثم التصديق ثم الاعتراف بالعجز
ثم السكوت ثم الكف ثم الامساك ثم التسليم لاهل المعرفة
اما التقديس اعني به تنزيه الرب تعالى عن الجسمية وتوابعها
واما التصديق فهو الايمان بما قاله صلى الله عليه وان ما ذكره حق وهو
فيما قاله صادق وانه حق على الوجه الذي قاله واراده واما الاعتراف
بالعجز فهو ان يقر بان معرفة مراده ليس في قدر طاقته وان ذلك
ليس من شانه وحرفته واما السكوت فان لا يسال عن معناه ولا
يخوض فيه ويعلم ان سوال عنه بدعة وانه في خوضه فيه
مخاطر بدينه وانه يوشك ان يكفر لو خاض فيه من حيث لا يشعر
واما الامساك فان لا يتصرف في تلك الالفاظ بالتصريف
والتبديل بلغة اخرى والزيادة فيه والنقصان منه والجمع والتفريق
بل لا ينطق الا بذلك اللفظ وعلى ذلك الوجه من الايراد والاعراب
والتصريف والصيغة واما الكف فان يكف باطنه عن
البحث عنه والتفكر فيه واما التسليم لاهله فان لا يعتقد ان ذلك
ان خفي عليه يعجزه فقد خفي على الرسول صلى الله عليه او على الانبياء

او على الصديقين والاولياء فهو على وجوه سبعة وظائف
اعتقد كافة السلف وجوبها على كل العوام لا ينبغي ان يظن
بالسلف الخلاف في شيء منها فلفشر حقا وظيفة وظيفة
الوظيفة الاولى التقديس ومعناه انه اذا سمع اليد
والاصبع في قوله صلى الله عليه ان الله خمر طينة آدم بيده
اربعين صباحا وان قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن
ينبغي ان يعلم ان اليد تطلق لمعنيين احدهما وهو الوضع الاصلي
هو عضو مركب من لحم وعظم وعصب واللحم والعظم والعصب
جسم مخصوص بصفات مخصوصة والجسم عبارة عن مقدر
له طول وعرض وعمق يمنع غيره من ان يوجد بحيث هذا
الا ان ينحى عن ذلك المكان وقد يستعار هذا اللفظ اعني
اليد لمعنى اخر ليس ذلك المعنى بجسم اصلا كما يقال البلدة في يد
الامير فان ذلك مفهوم وان كان الامير مقطوع اليد مثلا فعلى
العامي وغير العامي ان يحقق قطعا ويقينا ان الرسول صلى الله عليه وسلم
لم يرد بذلك اللفظ جسما هو عضو مركب من لحم ودم وعظم
وان ذلك على الله محال وهو عنه مقدس فان خطر ببالك ان
الله تعالى جسم مركب من اعضاء فهو عابد صنم فان كل جسم فهو مخلوق
وعبادة المخلوق كفر وعبادة الصنم كان كونه الاله مخلوق وكان
مخلوقا لانه جسم فمن عبد جسما فهو كافر باجماع الامة
السلف منهم والخلف سواء كان ذلك الجسم كثيفا كالجبال
الصم الصلاب او لطيفا كالهواء والماء وسواء كان مظلما
كالارض او مشرقا كالشمس والقمر والكواكب او مستفالا
كالهواء او عظيما كالعرش والكرسي او صغيرا كالدرهم

او جمادا كالحجارة او حيوانا كالانسان فالجسم صنم وبان
بقدر حسنه وجماله او عظمه او صفاه او صلابته وبقاه
لا يخرج عن كونه صنما ومن نفى الجسمية عنه وعن يده واصبعه
فقد نفى العضوية واللحم والعصب وقد نفر الرب عما يوجب
الحدوث فلم يعتقد بعد انه عبارة عن معنى من المعاني ليس
بجسم ولا عرض في جسم يليق ذلك المعنى بصفات الجلال
والكبرياء فان كان لا يدري ذلك المعنى ولا يفهم كنه حقيقته
فليس عليه في ذلك تكليف اصلا فمعرفة تاويله ومعناه ليس
بواجب عليه بل واجب عليه ان لا يخوض فيه كما سيأتي
مثال الخبر اذا سمع الصورة من قوله ان الله خلق آدم على صورته
وانى رايت ربي في احسن صورة ينبغي ان يعلم ان الصورة
اسم مشترك قد يطلق ويراد به الهيئة الحاصلة في اجسام
مولفة مركبة مرتبة ترتيبا مخصوصا مثل الانف
والعين والفم والخد التي هي اجسام هي لحوم وعظام وقد يطلق
ويراد به ما ليس بجسم ولا هيئة في جسم ولا موتر ترتيب في اجسام
كقولك عرفت صورة هذه المسالة وصورة هذه الواقعة وان
وزارة فلان وولايته منتظمة في احسن صورة وما جرى مجراه
فليتحقق كل مومن ان الصورة في حق الله تعالى لم تطلق لارادة المعنى
الاول الذي هو جسم لحمي وعظمي مركب من انف وفم وخد وعين
فان جميع ذلك اجسام وهيئة في اجسام وخالق الاجسام
كلها منزه عن مشابهتها وصفاتها واذ علم هذا القينا
فهو مومن فان خطر له انه ان لم يرد هذا المعنى فما المعنى الذي
اراده فينبغي ان يعلم ان ذلك لم يؤمر به بل امر بان لا يخوض فيه فانه ليس على قدر
طاقته لكن ينبغي ان يعتقد انه اراد به معنى يليق بجلال الله وعظمته مما ليس بجسم ولا عرض
في جسم

مثال اخر اذا قرع سمعه النزول في قوله ينزل الله كل ليلة
الى سماء الدنيا فالواجب عليه ان يعلم ان النزول اسم مشترك قد يطلق
اطلاقا يعقل فيه الى ثلثة اجسام جسم عال يوم مكان لساكنه
وجسم سافل وجسم من علو الى سفل فان كان من سفل الى علو
سمي صعودا وخروجا وترقيا وقد يطلق على معنى اخر لا يفتقر
فيه الى تقدير انتقال وحركة في جسم كما قال تعالى وانزل لكم من الانعام
ثمانية ازواج وما راى البعير ولا البقر نازلا من السما بالانتقال
بل هي مخلوقة في الارحام ولا تراها معنى لا محالة وكما قال الشافعي
دخلت مصر فلم يفهموا كلامي فنزلت ثم نزلت ثم نزلت ولم
يرد به انتقال جسده الى سفل فليتحقق المومن ان النزول في حق
الله تعالى ليس بالمعنى الاول وهو انتقال شخص وجسد من علو
الى سفل فان الشخص والجسد للاجسام والرب تعالى ليس بجسم فان
خطر له انه اذا لم يرد هذا فما الذي اراده فيقال له انت اذا
عجزت عن فهم نزول البعير من السما فانت عن فهم نزول الله تعالى
اعجز فليس هذا بغيتك فادرج واشتغل بعبادتك او حرفتك
واسكت واعلم انه اريد به معنى من المعاني الذي يجوز ويراد بالنزول
في لغة العرب ويليق ذلك المعنى بجلال الله وعظمته وان
كنت لا تعلم حقيقته وكيفيته ومثال اخر اذا سمع
لفظ الفوق في قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده وفي قوله تعالى يخافون
ربهم من فوقهم فليعلم ان الفوق اسم مشترك يطلق لمعنيين احدهما
نسبة جسم الى جسم بان يكون احدهما اعلى والاخر اسفل يعني ان الاعلى
من جانب راس الاسفل وقد يطلق لا لهذا المعنى فيقال الخليفة
فوق السلطان والسلطان فوق الوزير كما يقال دخل فلان على الامير

وجلس فوق فلان وكما يقال العلم فوق العمل والصياغة فوق
الدباغة والاول مسند الى جسم حتى ينسب الى الجسم والثاني لا
يستدعيه فليعتقد المومن قطعا ان الاول غير مراد وانه على
الله محال فانه من لوازم الاجسام او لوازم اعراض الاجسام
وان عرف نفي هذا المحال فلا عليه ان لم يعرف انه لماذا اطلق
وماذا اريد به فقد خفف الله عنه مئونة الكلفة وامثلة هذا
كثيرة فقس على ما ذكرناه ما لم نذكره والوظيفة الثانية
الايمان والتصديق وهو ان يعلم قطعا ان هذه الالفاظ اريد بها معاني
تليق بجلال الله تعالى وان رسول الله صلى الله عليه صادق في وصف الله
تعالى به فليومن بذلك وليوقن بان ما قاله صدق وما اخبر عنه حق لا ريب فيه
وليقل امنا وصدقنا وان ما وصف الله به نفسه او وصف به
رسوله فهو كما وصفه فهو حق بالمعنى الذي اراده وعلى الوجه الذي اراده
وان كنت لا اقف على حقيقته فان قلت التصديق انما يكون بعد
التصور والايمان انما يكون بعد التفهم فهذه الالفاظ اذا لم يفهم
العبد معانيها كيف يعتقد صدق قايله فيما يجوز ان يكون
بالامور الجلية ليس بمحال فكل عاقل يعلم انه اريد بهذه الالفاظ
معاني وان كل اسم فله مسمى اذا نطق به من اراد مخاطبة قوم
قصد ذلك المسمى فيمكنه ان يعتقد كونه كاذبا مخبرا عنه على خلاف
ما هو عليه ويمكنه ان يعتقد كونه صادقا مخبرا عنه على ما هو عليه
فهذا معقول على سبيل الاجمال بل يمكن ان يفهم من هذه الالفاظ
امور جملية غير مفصلة ويمكن التصديق كما لو قال قائل في البيت حيوان
امكن ان يصدق وان يعرف انه انسان او فرس او غيره بل لو قال
فيه شيء امكن تصديقه وان لم يعرف ذلك الشيء فاذا ذلك من سمع
الاستواء على العرش فهم على الجملة انه اريد بذلك نسبة خاصة

www.alukah.net

للعرش فيمكنه التصديق قبل ان يعرف ان تلك النسبة هي نسبة
الاستقرار عليه او الاقبال على خلقه وانجاده او الاستيلاء عليه
او معنى اخر من معاني النسبة فامكن التصديق به فان قلت
فاي فايدة في مخاطبة الخلق بما لا يفهمون فجوابك انه قصد
بهذا الخطاب تفهيم من هو اهله وهم الاولياء والراسخون في العلم
وقد فهموه وليس من شرط من خاطب العقلاء بكلام ان يخاطبهم
بما يفهمه الصبيان والعوام بالاضافة الى العارفين كالصبيان
بالاضافة الى البالغين ولكن على الصبيان ان يسألوا البالغين عما
لم يفهموه وعلى البالغين ان يجيبوا الصبيان بان هذا ليس من
شانكم ولستم من اهله فخوضوا في حديث غيره فقد قيل للجهال
فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فاذا سألوا اهل الذكر فان
كانوا يطيقون فهمه فهموهم والا فالوالهم وما اوتيتم من العلم الا قليلا
فلا قالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم مسائلكم ولهذا السؤال
هذه معاني الايمان بالله واجب والكيفية مجهولة اي مجهولة
لكم والسؤال عنه بدعة كما قال مالك الاستواء معلوم والكيفية
مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة فاذن الايمان
بالجليات التي ليست مفصلة في الذهن ممكن ولكن تقديسه
الذي تقتضي المحال منه سعي ان يكون مفصلا فان المتنزه عن الجسمية
ولوازمها وتعني بالجسم هاهنا الشخص المقدر الطويل العريض العميق
الذي يمنع غيره من ان يوجد معه حيث هو الذي يدفع ما
يطلب مكانه ان كان قويا ويندفع وينتحي عن مكانه بقوة دافعة
ان كان ضعيفا وانما شوحينا بهذا اللفظ مع ظهوره لان العامي ربما
لا يفهم المراد به الوظيفة الثالثة

الاعتراف بالعجز ٥ ويجب على كل من لا يقف على كنه هذه
المعاني وحقيقتها ولم يعرف تاويلها والمعنى المراد بها ان يقر
بالعجز فان الصدق واجب وهو عن دركه عاجز فان ادعى
المعرفة فقد كذب وهذا معنى قول مالك الكيفية مجهولة
يعني بفصيل المراد به غير معلوم بل الراسخون في العلم والعارفون
من الاولياء وان جاوزوا في المعرفة حدود العوام وجالوا في ميدان
المعرفة وقطعوا من بواديها اميالا كثيرة فما بقي لهم مما لم يطلعوا
وهو بين ايديهم اكثر بل لا نسبة لما طوي عنهم الى ما كشف لهم
لكثرة المطوي وقلة المكشوف بالاضافة اليه وبالاضافة الى
المطوي المستور قال سيد الانبياء صلوات الله عليه لا احصي ثناء
عليك انت كما اثنيت على نفسك وبالاضافة الى المكشوف
قال اعرفكم بالله اخوفكم لله وانا اعرفكم بالله ولاجل كون
العجز والتصور ضروريا في آخر الامر بالاضافة الى منتهى الحال
قال سيد الصديقين العجز عن درك الادراك ادراك فاول
حقائق هذه المعاني بالاضافة الى عوام الخلق كاواخرها بالاضافة
الى خواص الخلق فكيف لا يجب عليهم الاعتراف بالعجز ٥
الوظيفة الرابعة السكوت عن السؤال وذلك
واجب على العوام لانه بالسؤال متعرض لما لا يطيقه وخائض
فيما ليس هو اهلا له فان سال جاهلا زاده جوابه جهلا وربما
ورطه في الكفر من حيث لا يشعر وان سال عالما عجز العارف
عن تفهيمه لتصور فهمه عجز البالغ عن تفهيم ولد الصبي مصالح
بيته وتدبيره بل عن تفهيمه مصلحته في خروجه الى المكتب
بل عجز الصايغ عن تفهيم النجار دقائق صياغته فان النجار

وان كان بصيرا بصناعته فهو عاجز عن دقايق الصناعة لانه
انما فهم دقايق النحو لاستغراقه العمر فى تعلمه وممارسته وكذلك
فهم الصياغة ايضا صرف العمر الى تعلمه وممارسته وقبل ذلك
لا يفهمه فالمشغولون بالدنيا او بالعلوم التى ليست من قبيل
معرفة الله تعالى عاجزون عن معرفة الامور الالهية عجز كافة
المعرضين عن الصناعات عن فهمها بل عجز الصبى الرضيع
عن الاعتناء بالخبز واللحم لتصوره فى فطرته لعدم الخبز
واللحم ولانه قاصر عن تعدية الاقوياء لكن طبع الضعف قاصر
عن التغذى به فمن اطعم الصبى الضعيف اللحم والخبز امكنه
من تناوله فقد اهلكه فكذلك العامى اذا طلب بالسوال هذه
المعانى وجب زجرهم ومنعهم وضربهم بالدرة كما كان يفعله عمر رضى الله عنه
بكل من سال عن الايات المتشابهة وكما فعله صلى الله عليه وسلم فى الانكار على
قوم رآهم خاضوا فى مسئلة القدر وسالوا عنه فقال ابهذا امرتم
وقال انما هلك من كان قبلكم بكثرة السوال او لفظ هذا معناه
كما اشتهر فى الخبر ولهذا اقول نحرم على الوعاظ على رؤس المنابر
الجواب عن هذه الاسولة بالخوض فى التاويل والتفصيل بل الواجب
عليهم الاقتصار على ما ذكرناه وذكر السلف ومع المبالغة فى
التقديس والتنزيه ونفى التشبيه وانه تعالى منزه عن الجسمية
وعوارضها وله المبالغة فى هذا بما اراد حتى يقول كل ما خطر
ببالكم ويحس فى ضميركم وتكون فى خاطركم فالله تخالفها وهو
منزه عنها وعن مشابهتها وانه ليس المراد بالاخبار شئ من
ذلك وما هو حقيقته المراد فلستم من اهل معرفتها والسوال عنها
فاشتغلوا بالتقوى فيما امركم الله به فافعلوه وما نهاكم عنه فاجتنبوه

وهذا قد نهيتم عنه فلا تسالوا عنه ومهما سمعتم شيئا من ذلك
فاسكتوا وقولوا امنا وصدقنا وما اوتينا من العلم الا قليلا وليس
هذا من جملة ما اوتيناه الوظيفة الخامسة
الامساك عن التصرف فى الالفاظ الواردة ويجب على عموم الخلق
الجمود على الفاظ هذه الاخبار والامساك عن التصرف فيها من
ستة اوجه التفسير والتاويل والتصريف والتفريع
والجمع والتفريق الاول التفسير واعنى به تبديل
اللفظ بلغة اخرى تقوم مقامها فى العربية او معناها بالفارسية
والتركية بل لا يجوز النطق الا باللفظ الوارد لان من الالفاظ العربية
ما لا يوجد لها فارسية تطابقها ومنها ما يوجد لها فارسية
تطابقها لكن ما جرت عادة الفرس باستعارتها للمعانى التى جرت
عادة العرب باستعارتها فيها ومنها ما يكون مشتركا فى العربية
ولا يكون فى العجمية كذلك اما الاول فمثاله لفظ الاستواء
فانه ليس له فى الفارسية لفظ مطابق تودى به الفرس المعنى الذى
يودية لفظ الاستواء عند العرب بحيث لا يشتمل على مزيد ابهام
اذ فارسيته ان يقال راست باستاد وهذا ان لفظان الاول
ينبى عن انتصاب واستقامة فيما يتصور ان ينحنى ويعوج
والثانى ينبى عن سكون وثبات فيما يتصور ان يتحرك ويضطرب
والاشعار بهذه المعانى واشارته اليها فى العجمية اظهر من اشعار
لفظ الاستواء واشارته اليها فاذا تفاوتا فى الدلالة والاشعار
لم يكن هذا مثل الاول وانما يجوز تبديل اللفظ بمثله المرادف
له الذى لا يخالفه بوجه من الوجوه لا بما يباينه ويخالفه ولو بادنى
شئ وان قدر اخفاه ومثال الثانى ان الاصبع يستعار فى
لسان العرب للنعمة يقال لفلان عندى فلان اصبع اى نعمة ومعناه

انكشف وما جرت عادة العجم بهذه الاستعارة وتوسع
العرب في التجوز والاستعارة اكثر من توسع العجم بل لا نسبة
لتوسع العرب الى جمود العجم فاذا حسن ارادة المعنى المستعار
له في العرب سمج ذلك في العجم نفر القلب عما سمج ومجه
السمع ولم يمل اليه فاذا تفاوتا فلم يكن التفسير تبديلا بالمثل
بل بالخلاف ولا يجوز التبديل الا بالمثل ومثال الثالث لفظ
العين فان من فسره انما يفسره باظهر معانيه فيقول جشم
وهو مشترك في لغة العرب بين العضو الباصر وعين الماء
والذهب والشمس وليس للفظ جشم هذا الاشتراك وكذلك
لفظ جنب والوجه يعرب عنه ولاجل هذا نرى المنع من
التبديل والاقتصار على العربية فان قيل هذا التفاوت فان
ادعيتموه في جميع الالفاظ فهو غير صحيح اذ لا فرق بين قولك
خبز وتمر وبين قولك لحم وكوشت وان اعترفت بان ذلك
في البعض فامنع من التبديل عند التفاوت لا عند التماثل
الجواب ان الحق ان هذا التفاوت في البعض لا في الكل
فلعل لفظ اليد ولفظ دست يتساويان في اللغتين في الاشتراك
والاستعارة وسائر الامور لكن اذا انقسم الى المجوز والمحظ
لا يجوز وليس ادراك التميز بينهما والوقوف على دقائق التفاوت
جليا سهلا يسيرا على كافة الخلق بل يكثر فيه الاشكال ولا
يتميز محل التفاوت عن محل التعادل فنحن بين ان نحسم الباب
احتياطا اذ لا حاجة ولا ضرورة الى التبديل وبين ان نفتح الباب
ونعم عموم الخلق ورطة الخطر فليت شعري اي الامرين
احزم واحوط والمتصرف فيه ذات الاله وصفاته وما عندي

ان عاقلا متدينا لا يقر بان هذا الامر مخطر وان الخطر في
الصفات الالهية يجب اجتنابه بكيف وقد اوجب الشرع
على الموطوءة العدة لبراءة الرحم والحذر من خلط الانساب احتياطا
لحكم الولاية والوراثة وما يترتب على النسب فقالوا مع ذلك
يجب العدة على العقيم والايسة والصغيرة وعند العزل
لان باطن الارحام انما يطلع عليها علام الغيوب فانه يعلم ما في
الارحام فلو فتحنا باب النظر الى التفصيل ما كنا راكبين متن
الخطر فايجاب العدة حيث لا علوق اهون من ركوب هذا
الخطر فكما ان ايجاب العدة حكم شرعي فتحريم تبديل العربية
حكم شرعي يثبت بالاجتهاد ويرجح طريق الاولى ويعلم ان هذا
احتياط في الخبر عن الله تعالى وصفاته وعما اراد بالفاظ
القرآن اهم واولى من الاحتياط في العدة من كل ما احتاط الفقهاء
فيه من هذا القبيل (ح) لما التصرف الثاني التاويل وهو بيان
معناه بعد ازالة ظاهره وهذا اما ان يقع من العامي بنفسه
او من العارف مع العامي او من العارف مع نفسه بينه وبين
ربه فهذه ثلثة مواضع الاول تاويل العامي على سبيل
الاستقلال بنفسه وهو حرام يشبه خوض البحر الغرق
ممن لا يحسن السباحة ولا شك في خطره وخطر معرفة الله
ابعد غورا واكثر معاطب ومهالك من بحر الماء لان
هلاك هذا البحر لا حيوة بعده وهلاك بحر الدنيا لا يزيل
الا الحيوة الزائلة وذلك يزيل الحيوة الابدية فشتان
بين الخطرين (ح) الموضع الثاني ان يكون ذلك من العالم مع
العامي وهو ايضا ممنوع ومثاله ان يخبر السباح الغواص
مع نفسه عاجزا عن السباحة يضطرب القلب والبدن

وذلك حرام لانه عرّضه لخطر الهلاك فانه لا يقوى على حفظه
في لجة البحر وان قدر على حفظه في القرب من الساحل ولو امر
بالوقوف على قرب الساحل لا يطيعه وان امره بالسكون عند
التطام الامواج واقبال التماسيح وقد فرغت فاها للالتقام
اضطرب قلبه وبدنه ولم يكن على حسب مراده لقصور طاقته
وهذا هو المثال الحق للعالم اذا فتح العامي باب التاويلات
والتصرف على خلاف الظواهر وفي معنى العوام الاديب والنحوي
والمحدث والمفسر والفقيه والمتكلم بل كل عالم سوى المتجردين
لتعلم السياحة في بحار المعرفة القاصرة اعمارهم على الصادقين
وحجبهم عن الدنيا والشهوات المعرضين عن المال والجاه
والخلق وسائر اللذات المخلصين لله تعالى في العلوم والاعمال
القائمين بجميع حدود الشريعة وآدابها في القيام بالطاعات
وترك المنكرات المفرغين قلوبهم بالجملة عن غير الله لله
المستحقرين للدنيا بل الاخرة وللفردوس الاعلى في جنب
محبة الله فهؤلاء هم اهل الغوص في بحر المعرفة وهم مع ذلك
كله على خطر عظيم يهلك من العشرة تسعة الى ان يسعد
واحد منهم بالدر المكنون والسر المخزون اولئك الذين سبقت
لهم منا الحسنى فهم الفائزون وربك اعلم بما تكن صدورهم
وما يعلنون ٥ الموضع الثالث تاويل العارف مع نفسه
في سر قلبه بينه وبين ربه وهو على ثلثة اوجه فان الذي
انقدح في سره انه المراد به من لفظ الاستواء والفوق مثلا
اما ان يكون مقطوعا به او مشكوكا فيه او مظنونا ظنا غالبا

فان كان قطعيا فليعتقده وان كان مشكوكا فليجتنبه ولا
يحكم على مراد الله ومراد رسوله من كلامه باحتمال يعارضه
مثله من غير ترجيح بل الواجب على الشاك التوقف وان كان
مظنونا فاعلم ان للظن متعلقان احدهما ان المعنى الذي انقدح عنده
هل هو جايز في حق الله ام هو محال والثاني ان يعلم قطعا جوازه
لكن يتردد في انه هل هو مراد باللفظ ام لا مثال تاويل لفظ
الفوق بالعلو المعنوي الذي هو المراد بقولنا السلطان فوق
الوزير فانا لا نشك في ثبوت معناه لله لكنا نتردد في
ان لفظ الفوق في قوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم هل اريد به العلو
المعنوي ام اريد به معنى اخر يليق بجلال الله دون العلو المكاني
الذي هو محال على ما ليس بجسم ولا هو صفة في جسم ومثال الثاني
تاويل لفظ الاستواء على العرش بانه اريد به النسبة الخاصة
الى العرش ونسبته ان الله متصرف في جميع العالم ويدبر الامر من
السماء الى الارض بواسطة العرش فانه لا حدث في العالم صورة
ما لم تحدث في العرش كما لا تحدث النقاش والكاتب صورة وحكمة
على البياض ما لم تحدث في الدماغ بل لا تحدث صورة البناء والابنية
ما لم تحدث صورتها في الدماغ فهو واسطة الدماغ يدبر القلب امر
عالمه الذي هو بدنه فربما يتردد في اثبات هذه النسبة
للعرش الى الله تعالى هل هو جايز اما الوجوب في نفسه واما على سبيل
ان يقال اجرى به سنته وعادته وان لم يكن خلافه محالا كما اجرى
عادته في حق قلب الانسان بان لا يسمه من التدبير الا بواسطة الدماغ
وان كان في قدرة الله تمكينه منه دون الدماغ لو سبقت به ارادته
الازلية وحقت به حكمته القديمة التي هي علمه فضلا خلافه

ممتنعا لا لقصور في ذات القدرة لكن لاستحالة ما يخالف
الارادة القديمة والعلم السابق الازلي ولذلك قال ولن تجد
لسنة الله تبديلا وانما لا يتبدل لوجوبها وانما وجوبها
لصدورها عن ارادة ازلية واجبة ونتيجة الواجب واجب
ونقيضه محال وان لم يكن محالا في ذاته ولكنه محال لغيره
وهو افضاؤه الى ان ينقلب العلم الازلي جهلا وممتنع نفوذ
المشية الازلية فاذن اثبات هذه النسبة لله تعالى مع العرش
في تدبير المملكة بواسطته اذ كان جايزا عقلا فهل هو واقع وجودا
هذا ما قد يتردد فيه الناظرون بما يظن وجودها هذا مثال الظن
في نفس المعنى والاول مثال الظن في كون المعنى مرادا باللفظ
مع كون المعنى صحيحا جايزا وبينهما فرق فان لا ان كل واحد من الظنين
اذا التلجج في النفس وحاك في الصدر فلا مدخل تحت الاختيار
دفعه عن النفس ولا يمكنه ان لا يظن فان للظن اسبابا ضرورية
لا يمكن دفعها ولا تكلف الله نفسا الا وسعها لكن عليه وظيفتان
احديهما ان لا يدع نفسه تطمئن اليه جزما من غير شعور
بامكان الغلط فيه فلا ينبغي ان يحكم مع نفسه بموجب ظنه
حكما جازما والثانية انه اذا ذكر لم يطلق القول بان المراد
بالاستواء الكذي او المراد بالفوق كذي لانه حكم بما لا يعلم وقد قال تعالى
ولا تقف ما ليس لك به علم لكن يقول انا اظن انه كذي فيكون
صادقا في خبره عن نفسه وعن ضميره ولا يكون حكما على صفة الله
ولا على مراده بكلامه بل حكما على نفسه ونبأ عن ضميره فان قيل
وهل يجوز ذكر هذا الظن مع كافة الخلق والتحدث به كما اشتمل
عليه ضميره وكذلك لو كان قاطعا فهل له ان يتحدث به

قلنا اتحدثه به انما يكون على اربعة اوجه فاما ان يكون مع
نفسه او مع من هو مثله في الاستبصار او مع من هو مستعد
الايصال ذكاءه وفطنته وتجرده لطلب معرفة الله تعالى او
مع العامي فان كان قاطعا فله ان يحدث نفسه به ويتحدث مع
من هو مثله في الاستبصار او من هو متجرد لطلب المعرفة مستعد
له خال عن الميل الى الدنيا والشهوات والتعصبات للمذاهب
وطلب المباهات بالمعارف والتظاهر بذكرها مع العوام
فمن اتصف بهذه الصفات فلا باس بالتحدث معه لان الغطش
المنعطش الى المعرفة لا الغرض لاخر يحيك في صدره
اشكال الظواهر وربما يلقيه في تاويلات فاسدة لشدة شرهه
على الفرار عن مقتضى الظاهر ومنع العلم الملهم كثيرة الى غير
اهليه واما العامي فلا ينبغي ان يحدث به وفي معنى العامي كل
من لا يوصف بالصفات المذكورة بل مثاله ما ذكرناه من اطعام
الرضيع الاطعمة القوية التي لا يطيقها واما المظنون
فيحدث مع نفسه اضطرارا فان ما ينطوي عليه الذهن من
ظن وشك وقطع لا تزال النفس تتحدث به ولا قدرة على
الخلاص منه ولا منع منه ولا شك في منع التحدث به مع العوام
بل هو اولى بالمنع من المقطوع اما تحدثه به مع من هو في مثل
درجته في المعرفة او مع المستعد له فيه نظر فمحتمل ان يقال
هو جايز اذ لا يزيد على ان يقول اظن كذي وهو صادق ومحتمل
المنع لانه قادر على تركه وهو مذكر منصرف بالظن في صفة الله تعالى
او في مراده من كلامه وفيه خطر واباحة تعرف بنص او اجماع
او قياس على منصوص ولم يرد شيء من ذلك بل ورد قوله تعالى

ولا تقف ما ليس لك به علم فان قيل يدل على الجواز ثلثة
امورا الاول الدليل الذى دل على اباحة الصدق وهو
صادق فانه ليس بخبر الا عن ظنه وهو ظان الثانى اقاويل
المفسرين فى القرآن بالحدس والظن اذ كل ما قالوا غير مسموع
من الرسول بل هو مستنبط بالاجتهاد ولذلك كثرت الاقاويل
وتعارضت والثالث اجماع التابعين على نقل الاخبار المشتملة
التى نقلها آحاد الصحابة ولم تتواتر وما اشتمل على الصحاح الذى
نقله العدل عن العدل فانهم جوزوا روايته ولا يحصل بقول العدل
الا الظن والجواب عن الاول ان المباح صدق
لا يخشى فيه ضرر وبث هذه الظنون لا يخلو عن ضرر فقد
يسمعه من يسكن اليه ويعتقده جزما فيحكم فى صفات الله تعالى
بغير علم وهو خطر والنفوس نافرة عن اشكال الظواهر فاذا
وجد مستمرا جازما من المعنى ولو مظنونا سكن اليه واعتقد جزما
وان كان يكون غلطا فيكون قد اعتقد فى صفات الله ما هو باطل
او حكم عليه فى كلامه بما لم يرد به واما الثانى وهو اقاويل
المفسرين بالظن فلا يسلم ذلك فيما هو من صفات الله تعالى
كالاستواء والفوق وغيره بل لعل ذلك فى الاحكام الفقهية
او فى حكايات احوال الانبياء والكفار والمواعظ والامثال وما
لا يعظم خطر الخطاء فيه واما الثالث فقد قال قائلون
لا يجوز ان يعتمد فى هذا الباب الا ما ورد فى القرآن او تواتر عن
الرسول تواترا يفيد العلم فاما اخبار الآحاد فلا يقبل فيه ولا
يشتغل بتاويله عند من يميل الى التاويل ولا بروايته عند من يعتمد

على الرواية لان ذلك حكم بالمظنون واعتماد عليه وما ذكروه ليس
ببعيد لكنه مخالف لظاهر ما درج عليه السلف فانهم قبلوا من
الاخبار من العدول ورووه وصححوه فالجواب من وجهين
احدهما ان التابعين كانوا قد عرفوا من ادلة الشرع انه لا يجوز اتهام العدل
بالكذب لا سيما فى صفات الله فاذا روى الصديق خبرا وقال سمعت
رسول الله يقول كذى فرد روايته تكذيب له ونسبه له الى الوضع
او الى السهو فقبلوه وقالوا قال ابو بكر قال رسول الله وقال انس
قال رسول الله وكذى من تابعى التابعين فالاصل اذا ابنى عندهم بادلة
الشرع انه لا سبيل الى اتهام العدل النقى من الصحابة فمن اين يجب
ان لا يفهم ظنون الآحاد وان ينزل الظن منزلة نقل العدل مع ان بعض
الظن اثم فاذا قال الشارع ما اخبركم به العدل فصدقوه وانقلوه
واظهروه وارووا عن ظنونكم وضمايركم ونفوسكم ما قاله فليس هذا
فى معنى المنصوص ولهذا نقول ما روى عن غير العدل من هذا الجنس
ينبغى ان يعرض عنه ولا يروى ويحتاط فيه اكثر ما يحتاط فى المواعظ
والامثال وما يجرى مجراه الجواب الثانى ان تلك الاخبار رواها
الصحابة لانهم سمعوه يقينا فما نقلوا الا ما تيقنوه والتابعين قبلوه
ورووه وما قالوا قال رسول الله كذى بل قالوا قال فلان قال رسول الله كذى
فكانوا صادقين وما اهملوا روايته لاشتمال كل حديث على فوائد
سوى اللفظ الموهم ولا فائدة اللفظ الموهم عند العارف بمعنى
حقيقيا فهمه منه ليس ذلك ظنيا فى حقه مثاله رواية الصحابة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول
هل من داع فاجيب وهل من مستغفر فاغفر له الحديث فهذا الحديث
يسبق لنهاية الترغيب فى قيام الليل وله تاثير عظيم فى تحريك الدواعى

www.alukah.net

للتمجيد الذي هو افضل العبادات فلو ترك هذا
الحديث لبطلت هذه الفايدة العظيمة ولا سبيل الى
امحائها وليس فيه الا ايهام لفظ النزول عند الصبي او عند
العامي الجاري مجرى الصبي والمانع على البصير ان يغرس في
قلب العامي التنزيه والتقديس عن صورة النزول بان يقول
له ان كان نزوله الى سماء الدنيا ليسمعنا نداءه وقوله فما اسمعنا فاي
فايدة في نزوله ولقد كان يمكنه ان ينادينا كذلك وهو على العرش
او السماء الاعلى فهذا القدر يعرف العامي ان ظاهر النزول باطل بل
مثاله ان يريد مكرم في المشرق اسماع شخص في المغرب ومناداته
فيتقدم الى جهة المغرب باقدام معدودة واخذ ينادي به وهو
يعلم ان لا يسمعه فيكون نقله الاقدام عملا باطلا وفعلا
كفعل المجانين فكيف يستقر مثل هذا في قلب عاقل بل يضطر
بهذا القدر كل عامي الى ان ينفي معنى صورة النزول وكيف
وقد علم استحالة الجسمية عليه واستحالة الانتقال على غير
الاجسام واستحالة النزول من غير انتقال فاذن الفايدة في
نقل هذه الاخبار عظيمة والضرر يسير فاني يساوي هذا احكاية
الظنون المنقدحة في الانفس فهذا سبيل تجاذب طرق الاحتمال
في اباحة ذكر التاويل المظنون او المنع ولا سعد ذكر وجه ثالث
وهو ان ينظر الى قرائن حال السامع والمستمع فان علم انه ينفهم
به ذكره وان علم انه يتضرر بتركه وان ظن احد الامرين كان ظنه
كالعلم في اباحة الذكر وكم من انسان لا يتحرك داعيته باطنا
الى معرفة هذه المعاني ولا يحيك في نفسه اشكال مرطوا
فذكر التاويل معه مشوش وكم من انسان يحيك في نفسه اشكال

الظاهر حتى يكاد ان يسوء اعتقاده في الرسول صلوات الله عليه
وسلم فقوله الموهم يمثل هذا الذكر معه الاحتمال المظنون بل مجرد
الاحتمال الذي لا ينبو عنه اللفظ انتفع به فلا باس بذكره معه
فانه دواء الداء وان كان داء في حق غيره ولكن لا ينبغي ان يذكر على رؤس
المنابر لان ذلك يحرك الدواعي الساكنة من اكثر المستمعين
وقد كانوا عنه غافلين وعن اشكاله منفكين ولما كان زمان السلف
الاول زمان يكون القلوب بالغوا في الكف عن التاويل خيفة من
تحريك الدواعي وتشويش القلوب في حق القاصر في ذلك الزمان فهو الذي
حرك الفتنة والقى هذه الشكوك في القلوب مع الاستغناء عنه
بالاثم اما الآن فقد فشى ذكره في بعض البلاد فالعذر في اظهار شئ
من ذلك رجحان الماطة الاوهام الباطلة عن القلوب اظهر واللزوم
على قاعدة اولى فان قيل فقد فرقتم بين التاويل القطوع والمظنون
فبماذا يحصل القطع بصحة التاويل قلنا بامرين احدهما ان يكون
المعنى مقطوعا باثبوته لله تعالى كفوقية المرتبة والثاني ان لا
يكون اللفظ الا محتملا امرين وقد بطل احدهما وتعين الثاني مثاله
قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده فانه ان ظهر في وضع اللسان ان الفوق
لا يحتمل الا فوقية المكان او فوقية الرتبة وقد بطل فوقية
المكان لمعرفة التقديس لم يبق الا فوقية المرتبة كما يقال السيد
فوق العبد والزوج فوق الزوجة والسلطان فوق الوزير والله
فوق عباده بهذا المعنى وهذا كالمقطوع به في لفظ الفوق وانه لا يحتمل
في لسان العرب الا في هذا المعنى واما لفظ الاستواء الى السماء وعلى
العرش فما لا ينحصر مفهومه في اللغة هذا الانحصار واذا تردد بين تلك معاني
يصير جايزا ان يراد على الله ومعنى واحد منها الباطل فتنزيله على احد المعاني الجايزة موقوف
بالظن او بالاحتمال المجرد هذا تمام النظر في الكف عن التاويل والخوض فيه

التصرف الثالث الذي يجب الامساك عنه التصريف
ومعناه انه اذ اورد قوله استوى فلا ينبغي ان يقال مستوى وستوى
لان المعنى يجوز ان يختلف لان دلالة قوله هو مستوى على العرش
على الاستقرار اظهر من قوله رفع السموات بغير عمد ترونها ثم
استوى على العرش بل هو كقوله خلق لكم ما في الارض جميعا ثم
استوى الى السما فان هذا يدل على استواء قد انقضى من اقبال
على خلقه او على تدبير المملكة بواسطة ففي تغيير التصاريف
مما يؤثر في تغيير الدلالات والاحتمال فليجتنب التصريف
كما يجتنب الزيادة فان تحت التصريف نقصان وزيادة
التصرف الرابع الذي يجب الامساك عنه القياس
والتفريع مثل ان يرد لفظ اليد فلا يجوز اثبات الساعد
والاصبع والكف مصيرا الى ان هذا من لوازم اليد واذا
ورد الاصبع لم يجز ذكر الانملة كما لا يجوز ذكر الجسم واللحم
والعصب وان كان اليد المشهورة لا تنفك عنه وابعد من هذه
الزيادة اثبات الرجل عند ورود اليد واثبات الفم عند ورود
العين او عند ورود الضحك واثبات الاذن والعين عند ورود
السمع والبصر وكل ذلك محال وكذب وزيادة وقد يتجاسر
الحمقى من الحشوية والمشبهة فلذلك ما ذكرناه
التصرف الخامس الجمع بين المتفرقات فلقد بعد
عن التوفيق من صنف كتابا في جمع هذه الاخبار خاصة ورسم
في كل عضو بابا فقال باب في اثبات الراس وباب في اثبات اليد
وباب في اثبات العين الى غير ذلك فان هذه كلمات مفرقة

صدرت من رسول الله صلى الله عليه في اوقات متفرقة بمشاهده
اعتمادا على قوانين مختلفة تفهم السامعين معاني صحيحة فاذا
ذكرت مجموعة على مثال خلق الانسان صار جمع تلك المتفرقات
في السمع دفعة واحدة قرينة عظيمة في تاكيد الظاهر وايهام
التشبيه وصار الاشكال في ان رسول الله لم ينطق بهذا بوهم خلاف
الحق اعظم في النفس واوقع بل الكلمة الواحدة الفرد يتطرق اليها
الاحتمال فاذا اتصل به ثانيه وثالثة ورابعة من جنسها وصار
متواليا ضعف الاحتمال بالاضافة الى الجملة ولذلك يحصل من
الظن بقول مخبرين وثلثة ما لا يحصل بقول الواحد بل يحصل من
العلم القطعي بخبر التواتر ما لا يحصل بالاحاد ويحصل من العلم القطعي
باجتماع القراين ما لا يحصل بالاحاد وكل ذلك نتيجة الاجتماع اذ
يتطرق الاحتمال الى قول كل عدل والى كل واحدة من القراين فاذا
اجتمع انقطع الاحتمال او ضعف فلذلك لا يجوز جمع المتفرقات
التصرف السادس التفريق بين المجتمعات فكما لا جمع بين
متفرقه ولا تفريق بين مجتمعه فان كل حكمة سابقة على حكمة او
لاحقة له مؤثرة في تفهيم معناه ومرجحة الاحتمال الضعيف
فيه فاذا فرقت وفصلت سقطت دلالتها مثاله قوله تعالى
وهو القاهر فوق عباده لا يسلط على ان يقول العالم هو فوق مطلقا لانه
اذا ذكر القاهر قبله ظهر دلالة الفوق على الفوقية التي القاهر مع المقهور
وهي فوقية الرتبة ولفظ القاهر يدل عليه بل لا يجوز ان يقول وهو القاهر
فوق غيره بل سعى ان يقول فوق عباده لان ذكر العبودية في وصف
من الله فوقه يوكد احتمال فوقية السيادة اذ يحسن ان يقول
السيد فوق عبده وان كان لا يحسن ان يقول زيد فوق عمرو فقد ان
تبين تقاوتهما في معنى السيادة والعبودية او غلبة القهر او

نعوذ الامر بالسلطنة او بالابوة او بالزوجية فهذه دقائق
يغفل عنها العلماء فضلا عن العوام فكيف يتسلط العوام في
مثل ذلك على التصرف بالجمع والفرق والتاويل والتفسير وانواع
التعبير ولاجل هذه الدقائق بالغ السلف في الجمود والاقتصار على
موارد التوقيف كما ورد على الوجه الذي ورد وبالفظ الذي ورد
والحق ما قالوه والصواب ما راوه فالمم المواضع بالاحتياط
ما هو تصرف في ذات الله وصفاته واحق المواضع بالجام اللسان
وتقييده عن الجريان ما تعظم فيه الخطر واي خطر اعظم من الكفر
الوظيفة السادسة في الكف بعد الامساك واعني بالكف
كف الناظر عن التفكر في هذه الامور فذلك واجب عليه كما وجب
عليه امساك اللسان عن السوال والتصرف وهذا اثقل الوظايف
واشدها وهو واجب كما وجب على العاجز من الخوض
غمرة البحر وان كان يتقاضاه طبعه ان يغوص في البحر ويخرج
دررها وجواهرها ولكن لا ينبغي ان يغره نفاسة جواهر بما مع
عجزه عن نيلها بل ينبغي ان ينظر الى عجزه وكثرة معاطبها وما لها
ويتفكر انه ان فاته نفايس البحر فما فاته الا زيادات وتوسعات
في المعيشة هو مستغنى عنها وان غرق او تقمه تمساح فانه
اصل الحيوة فان قلت ان لم صرف قلبه عن التفكر والتفتيش عن
البحث فما طريقه قلت طريقه ان يشغل نفسه لعبادة الله تعالى
بالصلوة وقرآة القران والذكر فان لم يقدر بعلم اخر لانه يناسب
هذا الجنس من لغة ونحو او حساب وطب او فقه فان لم
يمكنه فحرفة وصناعة ولو الحراثة او الحياكة فان لم يقدر فباطل
ولهو فان لم يقدر فحديث نفسه هول القيامة والحشر
والنشر والحساب فكل ذلك خير له من الخوض في هذا البحر
البعيد عمقه العظيم خطره وضرره بل لو اشتغل العامي
بالعامي الدنيه ربما كان اسلم له من ان يخوض في البحث عن معرفة
الله فان ذلك عاقبته الفسق وهذا عاقبته الشرك وان
الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فان قلت
العامي لم يسكن نفسه الى الاعتقادات الدينية الا بدليل
فهل يجوز ان يذكر له الدليل فان جوزت ذلك فقد رخصت له في
التفكر والنظر واي فرق عن هذا النظر وبين غيره وان منعت
فكيف تمنعه ولا يتم ايمانه الا به الجواب اني اجوز له ان
يسمع الدليل على معرفة الخالق ووحدانيته وعلى صدق الرسول وعلى
اليوم الاخر ولكن بشرطين احدهما ان لا يزاد معه على الادلة
التي في القران والاخبار الا يسيرا ظاهرا ولا يتفكر
فيه الا تفكرا سهلا جليا ولا يمعن في التفكر ولا يشغل عنايته الا بهذا
في البحث وادلة هذه الامور الاربعة ما ذكر في القران اما الدليل
على معرفة الخالق مثل قوله قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك
السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ومن يخرج الميت من الحي ومن
يدبر الامر فسيقولون الله وقوله افلم ينظروا الى السماء كيف
بنيناها وزينا ها وما لها من فروج والارض مددناها والقينا فيها
رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب
وانزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد
والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد ولقوله فلينظر
الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا الى قوله متاعا لكم ولانعامكم
وقوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا الى قوله جنات الفافا

وامثال ذلك وهو قريب من خمسمائة آية جمعناها في جواهر القرآن
به ينبغي ان يعرف الخلق جلال الخالق وعظمته لانهول المتكلمين
ان الاعراض حادثة وان الجواهر لا تخلو عن الاعراض الحادثة فهي حادثة
ثم الحادث يفتقر الى محدث فان تلك التقسيمات والمقدمات
واتيانها بادلتها الرسمية تشوش قلوب العوام والادلة الظاهرة
القريبة من الافهام على ما في القرآن تقنعهم وتسكن نفوسهم وتغرس
في قلوبهم الاعتقادات الجازمة واما الدليل على الوحدانية
فيقنع فيه بما في القرآن من قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
وان اجتماع المدبرين سبب افساد التدبير ومثل قوله لو كان معه
الهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا وقوله تعالى ما اتخذ
الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى
بعضهم على بعض واما صدق الرسول فيستدل عليه بقوله تعالى قل لئن
اجتمعت الجن والانس على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو
كان بعضهم لبعض ظهيرا وبقوله تعالى قل فأتوا بسورة مثله وقوله تعالى
فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وامثاله واما اليوم الآخر
فيستدل عليه بقوله تعالى حال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي
انشاها اول مرة وبقوله تعالى احسب الانسان ان يترك سدى
الم يك نطفة من مني يمنى الى قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي
الموتى وبقوله يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم
من تراب الى قوله اذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي
احياها لمحيي الموتى وامثال ذلك كثير في القرآن فلا ينبغي ان يزاد عليه
فان فصل فهذه هي الادلة التي اعتمدها المتكلمون وقرروا وجه
دلالتها فما بالهم يمنعون عن غير هذه الادلة ولا يمنعون عنها؟

وكل ذلك مدرك بنظر العقل وتامله فان فتح العامي باب النظر
فليفتح مطلقا وليسد عليه طريق النظر راسا وليكلف التقليد
من غير دليل فالجواب ان الادلة تنقسم الى ما يحتاج فيه
الى تفكر وتدقيق خارج عن طاقة العامي وقدرته والى ما هو جلي
سابق الى الافهام ببادي الرأي واول النظر بل يشترك كافة الناس
في دركه فما يدركه كافة الناس بسهولة لا خطر فيه وما يفتقر
الى التدقيق فليس على حد وسعة فادلة القرآن مثل الغذاء ينتفع
به كل انسان وادلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به الآحاد ويتضرر به
الاكثرون بل ادلة القرآن كالماء الذي ينتفع به الصبي الرضيع والرجل
القوي وسائر الادلة كالاطعمة التي ينتفع بها الاقوياء ممن وبعضها
بها اخرى ولا ينتفع بها الصبيان اصلا ولهذا ادلة القرآن ايضا
ينبغي ان يصغى اليها اصغاء الى كلام جلي ولا يماري فيه الامر اظهر
ولا يكلف نفسه تدقيق الفكر وتحقيق النظر فمن الجلي ان من قدر على
الابتداء فهو على الاعادة اقدر كما قال وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو
اهون عليه وان التدبير لا ينتظم في دار واحد عبدين فكيف ينتظم
في كلية العالم وان من خلق علم كما قال تعالى الا يعلم من خلق فهذه
ادلة جرى العوام مجرى الماء الذي جعل الله منه كل شيء حيا والحادثة
المتكلمون وراء ذلك من تدقيق وسوال وتوجيه اشكال ثم اشتغال
بحله فهو بدعة وضرر في حق عموم الخلق ظاهر فهو الذي ينبغي
ان ينهى والدليل على تضرر الخلق به المشاهدة والتجربة وما ثار
من الفتن بين الخلق منذ نبغ المتكلمون وفشا صناعة الكلام مع
سلامة العصر الاول من الصحابة عن مثل ذلك ويدل عليه ايضا
ان رسول الله صلى الله عليه والصحابة باجمعهم ما سلكوا في الحاجة

مسلك المتكلمين في تقسيماتهم وتدقيقاتهم لا نجس منهم
عن ذلك فلو علموا ان ذلك نافع لا طنبوا فيه وخاضوا في
تحرير الادلة خوضا يزيد على خوضهم في مسايل الفرايض فان قيل
انما امسكوا عنه لعدم الحاجة فان البدع انما نبغت بعدهم فعظم
حاجة المتاخرين وعلم الكلام راجع الى علم معالجة المرض بالبدع
فلما قلت في زمانهم امراض البدع قلت عنايتهم بجميع طرق المعالجة
فالجواب من وجهين احدهما انهم في مسايل الفرايض ما اقتصروا
على بيان حكم الوقايع بل وضعوا المسايل وفرضوا فيها ما سقضي الامور
ولا تقع مثلها لان ذلك مما امكن وقوعه فصنفوا علمه ورتبوه
قبل وقوعه اذ علموا انه لا ضرر في الخوض فيه وفي بيان حكم الواقعة
قبل وقوعها والعناية بازالة البدع وزعماء عن النفوس انهم فلم يتخذوا
ذلك صناعة لولا انهم عرفوا ان الاستمرار بالخوض فيه اكثر من
الانتفاع ولولا انهم كانوا قد حذروا من ذلك واقدموا الخوض فيه
الجواب الثاني انهم كانوا محتاجين الى محاجة اليهود
والنصارى في اثبات نبوة محمد صلى الله عليه والى اثبات الالهية
مع عبدة الاصنام والى اثبات البعث مع منكريه ثم مازادوا
في هذه القواعد التي هي اطراف العقايد على ادلة القران فمن
اقنعهم ذلك قلوه ومن لم يقنع به قنلوه وعدلوا الى السيف
والسنان بعد افشاء ادلة القران ومارسوا ظهر اللجاج في وضع
المقاييس العقلية وترتيب المقدمات واستنتاجها وتحريد
طرق المجادلة ودليل طريقا ومنهاجها كل ذلك لعلمهم بان
ذلك مثار الفتن ومنبع التشويش وان من لا يقنعه ادلة القران

فلا يقنعه الا السيف والسنان فما بعد بيان الله بيان
على انا ننصف ولا ننكر ان حاجة المعالجة تزيد بزيادة المرض
وان لطول الزمان وبعد العهد عن عصر النبوة تاثيرا في اشارة
الاشكالات وان للعلاج طريقان احدهما الخوض في البيان والبرهان
والى ان تصلح واحد يفسد به اثنان فان صلاحه بالاضافة الى الاكياس
وفساده بالاضافة الى البله وما اقل الاكياس وما اكثر البله والعناية
بالاكثرين اولى والطريق الثاني طريق السلف في الكف والسكوت
والعدول الى الدرة والسوط والسيف وذلك مما ينفع الاكثرين
وان كان لا ينفع الاقلين وآية اقناعه ان من يستهزء من الكفار من الاماء
والعبيد تراهم يسلمون تحت ظلال السيوف ثم يستمرون عليه
حتى يصير طبعا ما كان في البداية كرها ويصير اعتقادا جزما
ما كان في الابتداء مراءً وشكا وذلك بمشاهدة اهل الدين والمواظبة
بهم وسماع كلام الله ورؤية الصالحين وقراءة من هذا الجنس بما سب
طباعهم مناسبة اشد من مناسبة الجدل والدليل واذا كان كل
واحد من الفلاحين يناسب قوما دون قوم ووجب ترجيح الانفع
في الاكثر فالمعاصرون للطبيب الاول المويد بروح القدس الكاشف
من الحضرة الالهية الموحى اليه من الخبير البصير باسرار عباده
وبواطنهم اعرف بالاصوب والاصلح قطعا فسلوك سبيلهم
لا محالة اولى الوظيفة السابعة التسليم لاهل المعرفة
وبيانه انه يجب على العامي ان يعتقد ان ما انطوى عنه من معاني
هذه الطواهر واسرارها ليس منطويا عن رسول الله وعن الصديق
والاكابر الصحابة وعن الاولياء والعلماء الراسخين وانه انما انطوى عنه
لعجزه وقصور قوته فلا ينبغي ان يقيس نفسه غيره فلا تقاس الملائكة
بالجن والشياطين

ولس ما خلوا عنهم مخادع العجايز ملزم ان خلوا عنه خزائن
الملوك فقد خلق الناس اشتاتا امتفاوتين كمعادن الذهب
والفضة وسائر الجواهر فانظر الى تفاوتها وتباعدها بينها صورة
ولونا وخاصية ونفاسة فكذلك القلوب معادن لجواهر المعارف
فبعضها معدن للنبوة والولاية والعلم ومعرفة الله تعالى وبعضها
معدن للشهوات البهيمية والاخلاق الشيطانية بل ترى
الناس يتفاوتون في الحرف والصناعات فقد تقدر الواحد
لخفة يده وحذاقة صناعته على امور لا يطيق الاخر في بلوغ
اوايله فضلا عن غايته ولو اشتغل بتعليمه جميع عمره فكذلك معرفة
الله تعالى بل كما سقسم الناس الى جبان عاجز لا يطيق النظر الى
النظام امواج البحر وان كان على ساحله والى من يطيق ذلك لكن
لا يطيق رفع الرجل عن الارض اعتمادا على السباحة والى من يطيق
الى حد مرتب من الشط لكن لا يطيق خوض لجة البحر والواضح
الفرقة المخطرة والى من يطيق ذلك لكن لا يطيق الغوص في عمق
البحر الى مستقره الذي فيه نفايسه وجواهره فهكذا امثال هذه
المعرفة وتفاوت الناس فيه مثل حذو القذة بالقذة من غير فرق
فان قيل فالعارفون يحيطون بكمال معرفة الله تعالى حتى لا
ينطوي عنهم شئ قلنا مبهات فقد بينا بالبرهان القطعي في
كتاب المقصد الاقصى في معاني اسماء الله الحسنى انه لا يعرف الله
كنه معرفته الا الله وان الخلائق وان اتسعت معرفتهم وغزرت
علومهم فاذا اضيف ذلك الى علم الله سبحانه لم يكن من العلم الا قليلا
لكن ينبغي ان يعلم ان الحضرة الالهية محيطة بكل ما في الوجود اذ

ليس في الوجود الا الله وافعاله والكل من الحضرة الالهية كما ان جميع
ارباب الولايات في العسكر من الخواص من العسكر فهم من جملة الحضرة
السلطانية وانت لا تفهم الحضرة الالهية الا بالتمثيل بالحضرة
السلطانية فاعلم ان كل ما في الوجود داخل في الحضرة الالهية
ولكن كما ان السلطان له في مملكته قصر خاص في فناء قصره ميدان واسع
ولذلك الميدان عتبة يجتمع عليها جميع الرعايا ولا يمكنون من مجاوزة
العتبة ولا الى طرف الميدان ثم يؤذن لخواص المملكة في مجاوزة
العتبة ودخول الميدان والجلوس فيه على تفاوت في القرب والبعد
بحسب مناصبهم وربما لم يطرق الى القصر الخاص الا الوزير وحده
ثم ان الملك يطلع الوزير من اسرار ملكه على ما يريد ويستأثر عنه
بامور لا يطلعه عليها فكذلك فافهم على هذا المثال تفاوت الخلق
في القرب من الحضرة الالهية والعتبة التي هي باب الميدان موقف جميع
العوام ومردهم لا سبيل لهم الى مجاوزتها فان جاوزوا واحد منهم اوجعوه
الزجر والتنكيل واما العارفون فقد خطوا وراء العتبة واسرحوا
في الميدان ولهم جولان على حدود مختلفة في القرب والبعد وتفاوت
ما بينهم كثير وان اشتركوا في مجاوزة العتبة وتقدموا على العوام
المحبوسين على الباب واما حظيرة القدس في صدر الميدان فهي اعلى
من ان يطأها اقدام العارفين وارفع من ان يمتد اليها ابصار الناظرين
بل لا يليح ذلك الجناب الرفيع صغير ولا كبير الا عمش الاعشة والحيرة
طرفه فانقلب اليه البصر خاسيا وهو حسير فهذا ما يجب على العاقل
ان يؤمن به جملة وان لم يحط به تفصيلا فهذه هي الوظايف السبعة
الواجبة على عوام الخلق في هذه الاخبار التي سالت عنها وهي حقيقة مذاهب
السلف والآن فلنشتغل باقامة الدليل على ان الحق هو مذهب السلف

الباب الثاني في اقامة البرهان على ان الحق مذهب السلف
وعليه برهانان عقلي وسمعي اما العقل ففنان كلي وتفصيلي
اما البرهان الكلي على ان الحق مذهب السلف ينكشف بتسليم
اربعة اصول هي مسلمة عند كل عاقل الاول ان اعرف
الخلق بصلاح احوال العباد بالاضافة الى جنس العباد هو
النبي صلوات الله عليه فان ما ينفع في الاخرة او يضر لا سبيل الى
معرفته بالتجربة كما عرف الطب اذ لا مجال للعلوم التجربية
الا فيما يشاهد على سبيل التكرر ومن الذي رجع من ذلك العالم
فادرك بالمشاهدة ما نفع وضر واخبر عنه ولا يدرك بقياس
العقل فان العقول قاصرة عن ذلك والعقلا باجمعهم معترفون
بان العقل لا يهدي الى ما بعد الموت ولا يرشد الى وجه ضرر المعاصي
ونفع الطاعات لا سيما على سبيل التفصيل والتحديد كما ورد
به الشرايع فاقروا بجملتهم ان ذلك لا يدرك الا بنور النبوة
وهي قوة وراء قوى العقل يدرك بها من امر الغيب في الماضي والمستقبل
امورا لا على طريق التعرف بالاسباب العقلية وهذا مما
اتفق عليه الاوايل من الحكما فضلا عن الاوليا من العلما والراسخين
القاصرين نظرهم على الاقتباس من حضرة النبوة المقرين بالقصور
كل قوة سوى هذه القوة * الاصل الثاني ان الله تعالى
افاض الى الخلق ما اوحى اليه من صلاح العباد في معادهم ومعاشهم
وانه ما كتم شيا من الوحي ولا اخفاه وطوى به من الخلق
فانه لم يبعث الا لذلك فلذلك كان رحمة للعالمين فلم يكن
متهما فيه وعرف ذلك علما ضروريا من قراين احواله في حرصه
على اصلاح الخلق وشغفه بارشادهم الى صلاح معاشهم

ومعادهم فما ترك شيا مما يقرب الخلق الى الجنة ورضا
الخالق الا دلهم عليه وامرهم به وحثهم عليه ولا شيا مما
يقربهم الى النار والى سخط الله تعالى الا حذرهم منه ونهاهم عنه
وذلك في العلم والعمل جميعا * الاصل الثالث
ان اعرف الناس بمعاني كلامه واحرامه بالوقوف على كنهه
ودرك اسراره الذين شاهدوا الوحي والتنزيل وعاصروه وحيوه
بل الزموه آناء الليل والنهار متشمرين لفهم معاني كلامه وتلقيه
بالقبول للعمل به اولا والنقل الى من بعدهم ثانيا وللتقرب
الى الله سبحانه بسماعه وفهمه وحفظه وستره وهم الذين
حثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السماع والفهم والحفظ
والاداء فقال نضر الله امرا سمع مقالتي فوعاها فاداها
كما سمعها الحديث فليت شعري ايتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما خفاه وكتمانه عنهم حاشى منصب النبوة عن ذلك
ام يتهم اليك الاكابر في فهم كلامه وادراك مقاصده
او يتهمون في اخفاه وستره بعد الفهم او يتهمون في معاندته
من حيث العمل ومخالفته على سبيل المكابرة مع الاعتراف بتفهيمه
وتكليفه فهذه امور لا يتسع لتقدير ها عقل عاقل *
الاصل الرابع انهم في طول عصرهم الى آخر اعمارهم
ما دعوا الخلق الى البحث والتفتيش والتفقير والتاويل والتعرض
لمثل هذه الامور بل نهوا في زجر من خاض فيه وسال عنه
فتكلم به على سبيل التحكيم عنهم فلو كان ذلك من الدين او من مدارك
علم الدين لا قبلوا عليه ليلا ونهارا ودعوا اليه اولادهم واهليهم
ولتشمروا عن ساق الجد في تاسيس اصوله وشرح قواعده

تشمر ابلغ من تشمر هم في تمهيد قواعد الفرايض والمواريث
فيعلم بالضرورة من مذهب الاصول ان الحق ما قالوه والصواب
ما ارادوه لا سيما وقد اثنى عليهم صلوات الله عليه فقال
خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقال
ستفترق امتي نيف وسبعين فرقة الناجية منهم واحدة
فقيل ومن هم فقال اهل السنة والجماعة فقيل وما اهل السنة
والجماعة فقال ما انا عليه الآن واصحابي البرهان الثاني
وهو التفصيل فنقول ادعينا ان الحق هو مذهب السلف وان
مذهب السلف هو توطيف الوظايف السبعة على عوام
الخلق في ظواهر الاخبار المتشابهة وقد ذكرنا برهان كل
وظيفة مفصلا وهو برهان كونه حقا فمن خالف ليت شعري
اتخالفه في قولنا الاول انه يجب على العامي التقديس للحق عن الجسمية
ومشابهة الاجسام او في قولنا الثاني انه يجب عليه التصديق
والايمان بما قاله الرسول صلى الله عليه بالمعنى الذي اراده او في قولنا
الثالث انه يجب عليه الاعتراف بالعجز عن درك حقيقة
تلك المعاني او في قولنا الرابع انه يجب عليه السكوت عن السؤال
والخوض فيما هو وراء طاقته او في قولنا الخامس انه يجب عليه
امساك اللسان عن تغيير الظواهر بالزيادة والنقصان
والجمع والتفريق او في قولنا السادس انه يجب عليه كف
القلب عن الفكر فيه مع عجزه عنه وقد قيل لم تفكروا
في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله او في قولنا السابع
انه يجب عليه التسليم لاهل المعرفة من الانبياء والاولياء والعلماء
الراسخين فهذه امور يقينا نعلم برهانها ولا يقدر احد على جحدها

وانكارها الا ان كان من اهل التمييز فضلا من العقلاء والعلماء فهذه هي
البراهين العقلية هي التمسط الثاني البرهان السمعي
على ذلك وطريقه ان نقول الدليل على ان الحق مذهب السلف
ان نقيضه بدعة والبدعة مذمومة وضلالة والخوض من جملة
العوام في التاويل والخوض بهم فيه من جهة العلماء بدعة فكان
نقيضه وهو الكف عن ذلك سنة محمودة فهاهنا ثلثة اصول
احدها ان البحث والتفتيش والسوال عن هذه الامور بدعة
والثاني ان كل بدعة فهي مذمومة والثالث ان البدعة اذا
كانت مذمومة كان نقيضها وهو السنة القديمة محمودة ولا
يمكن النزاع في شيء من هذه الاصول واذا سلم انتج ان الحق مذهب
السلف فان قيل بم تنكرون على من منع كون البدعة مذمومة
او منع كون البحث والتفتيش بدعة منازع في الاصلين الاولين
ولم ينازع في الثالث لظهوره فنقول الدليل على اثبات الاصل
الاول من كون البدعة مذمومة اتفاق الامة قاطبة على ذم
البدعة وزجر المبتدع وتعيير من يعرف بالبدعة وهذا مفهوم
على الضرورة من الشرع وذلك غير واقع في محل الظن وذم رسول الله
للبدعة علم بالتواتر بمجموع اخبار تفيد العلم القطعي جملتها
وان كان الاحتمال يتطرق الى احادها وذلك كعلمنا بشجاعة
علي وسخاوة حاتم وحب رسول الله عايشة وما جرى مجراه
فانه علم قطعا باخبار احاد بلغت في الكثرة مبلغا لا يحتمل
كذب ناقليها وان لم يكن احاد تلك الاخبار متواترة وذلك
مثل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بسنتي
وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ

وایاکم ومحدثات الامور فان کل محدث بدعة وکل بدعة ضلالة
وکل ضلالة فی النار وقال صلی الله علیه وسلم اتبعوا ولا تبتدعوا فانما
هلک من کان قبلکم لما ابتدعوا فی دینهم وترکوا سنن انبیائهم وقالوا
بآرائهم فضلوا واضلوا وقال صلی الله علیه وسلم اذا مات صاحب بدعة
فقد فتح علی الاسلام فتح وقال علیه السلام من مشی الی صاحب بدعة
لیوقره فقد اعان علی هدم الاسلام وقال علیه السلام من اعرض عن
صاحب بدعة بغضا له فی الله ملأ الله قلبه امنا وایمانا ومن
اتنهر صاحب بدعة رفع الله له مایه درجة ومن سلم علی صاحب
بدعة او لقیه بالبشر له واستقبله بما یسره فقد استخف
بما انزل علی محمد صلی الله علیه وقال صلی الله علیه ان الله لا یقبل
لصاحب بدعة صوما ولا صلاة ولا زکوة ولا حجا ولا عمرة ولا جهادا
ولا صرفا ولا عدلا ویخرج من الاسلام کما تخرج الشعرة من العجین فهذا وامثاله مما جاوز حد الحصر
افاد علما ضروریا بکون البدعة مذمومة فان قیل سلمنا ان البدعة
مذمومة ولکن ما دلیلک علی ان ما هو الذی بدعه قلنا
البدعة عبارة عن کل محدث فلم قال ان نافع الجماعة فی التراویح
بدعة وهی بدعة حسنة وخوض الفقهاء فی تفاریع الفقه
ومناظرتهم فیها مع ما یدعوه من نقض وکسر وفساد وضع
وترکیب وتعدیة وفنون مجادلة والزام کل ذلک مبدع لم
یوثر من الصحابة شیء من ذلک فدل ان البدعة المذمومة ما رفع
سنة ماثورة ولا نسلم ان هذا رافع لسنة ثابتة لکنه
محدث ما خاض فیه الاولون اما لاشتغالهم بما هو اهم منه
واما لسلامة القلوب فی العصر الاول عن الشکوک والترددات

فاستغنوا عن الخوض فیه وخاض فیه من بعدهم لحدوث الاسباب
والبدع ومسیس الحاجة الی ابطالها والجواب
ان ما ذکروه ان البدعة المذمومة کل محدث رفع سنة قدیمة
هو الحق ومنه بدعة رفعت سنة قدیمة ان کان سنة الصحابة
المنع من الخوض فیه وزجر من سال عنه والمبالغة فی تادیبه ومنعه
ففتح باب السوال عن هذه المسائل والخوض بالعوام فی عمرة مدة
التکلف علی خلاف ما تواتر عنهم وقدح ذلک عن الصحابة بتواتر
النقل عند التابعین من نقلة الآثار وسیر السلف صحة
لا یتطرق الیها ریب وشک فما تواتر خوضهم فی مسایل الفرایض
ومشاورتهم فی احکام الوقایع الفقهیة وحصل العلم به ایضا
باخبار الآحاد لا یتطرق الشک الی مجموعها وان تطرق الاحتمال
الی آحادها کما ذکرناه فی ذم البدعة کما نقل عن عمر رضی الله عنه انه سئل
سائل عن آیتین متشابهتین فعلاه بالدرة وکما روی انه سال سائل
عن القرآن اهو مخلوق ام لا قال ابو هریرة رضی الله عنه کنت جالسا عند
ما سئل عن ذلک وهو امیر المومنین یومیذ فتعجب رضی الله عنه من قوله
فاخذ بیده حتی جاء به الی علی رضی الله عنه فقال یا ابا الحسن اتسمع
ما یقول هذا الرجل قال وما یقول یا امیر المومنین فقال الرجل سالته
عن القرآن اهو مخلوق ام غیر مخلوق فوجم علی رضی الله عنه وطاطا راسه
ثم رفع راسه وقال سیکون لهذا الکلام هذا انباء فی آخر الزمان ولو
لیث من امس ما ولیت لضربت عنقه وقد روی الخلال حنبل
هذا الحدیث عن ابی هریرة فهذا اول علی فی هذا السوال بحضور
عمر وابی هریرة ولم یقولا له ولا احد ممن بلغه ذلک من الصحابة ولا
عرفه علی فی نفسه ان هذا سوال عن مسالة دینیة وتعرف
لحکم کلام الله تعالی وطلب معرفة کصفة القرآن الذی هو المعجز

الدال على صدق الرسول بل هو الدليل المعرف لاحكام التكليف
فلم تتوجب طالب المعرفة والسابلير غير هذا التشديد
وانظر الى صدق فراسته واشرافه على ان ذلك فرع لباب الفتنة
وان ذلك سيفتش في اخر الزمان الذي هو موسم الفتن ومظنتها
بوعد رسول الله وانظر الى تشديده وقوله لو وليت ما وليت
لضربت عنقه فمثل اولئك السادة الاكابر الذين شاهدوا الوحي
والتنزيل واطلعوا على اسرار الدين وحقائقه وقد قال صلى الله عليه
في احدهما لو لم ابعث لبعثت يا عمر وقال في الثاني انا مدينة العلم
وعلي بابها بين جرون السايل عن مثل هذا السوال ثم زعم من
بعدهم من المتصوفين بالكلام والمجادلة ومن لو اعطوا ما في الارض
جميعا ما بلغ مدا لاحدهم ولا نصيفه ان الخوض والصواب قبول
هذا السوال في الخوض في الجواب وفتح هذا الباب ثم تعقد
فيه انه بحق وفي عمر وعلي انهما مبطلان ميهات ما ابعد
عن التحصيل وما اخلى عن الدين هم قياس الملائكة بالحدادين
بل ترجح المجادلين على الائمة الراشدين والسلف الصالحين فاذن
قد عرف على القطع ان هذه بدعة مخالفة لسنة السلف
لا لخوض الفقهاء في التفاصيل والتفاريع فان ذلك وان كان
محدثا فليس مخالفا لسنة السلف فما نقل عنهم زجر عن الخوض
فيه بل امعانهم في الخوض في مسائل الفرائض عرف جواز الخوض
واما ما ابدع من فنون الجدال فهي بدعة مذمومة
عند اهل التحصيل ذكرنا وجه ذمها في كتاب قواعد العقائد
من كتب احياء علوم الدين واما مناظراتهم ان كان القصد منها
التعاون على البحث عن مآخذ الشرع ومدارك الاحكام

فهي سنة السلف فلقد كانوا يتشاورون ويتناظرون في المسئلة
الفقهية كما فعل في مسئلة الجد ومبراث الام مع الزوج والاب
ومسايل سواها نعم ان ابدعوا الفاظا وعبارات للتنبيه على
مقاصدهم الصحيحة فلا حرج فالعبارات لا حرج فيها بل هي
مباحة لمن سمعها ويستعملها وان كان مقصدهم الافحام
دون الاعلام والالزام دون الاستعلام فذلك بدعة مذمومة
على خلاف السنة المأثورة ۞

الباب الثالث في فصول متفرقة واسولة شتى نافعة في هذا الفن

ان قال فايل ما الذي دعا رسول الله الى اطلاق هذه الالفاظ
الموهمة مع الاستغناء عنها اكان لا يدري انه يوهم التشبيه
ويغلط الحق ويسوقهم الى اعتقاد الباطل في ذات الله وصفاته
وحاشا منصب النبوة ان يخفى عليه ذلك او عرف لكن لم
يبال بجهل الجهال وضلالة الضلال وهذا ابعد واشنع
لانه بعث شارعا مشيرا حالا مبينا ملتمسا ملغزا فهذا
اشكال له وقع في القلوب حتى جر بعض الخلق الى سوء
الاعتقاد فيه فقالوا لو كان نبيا لعرف الله ولوصفه
بما وصفه به مستحيل في ذاته وصفاته وقادت طايفة اخرى
الى اعتقاد الظواهر فقالوا لو لم يكن حقا لما ذكره كذلك مطلقا
ولعدل عن هذه الالفاظ الى غيرها او قرنها بما يزيل الابهام عنها
فما سبيل حل هذا الاشكال العظيم وقعه في القلوب الذي
يحاك حسيكته في الصدور والجواب ان هذا الاشكال
يتحل عند اهل البصيرة وبيانه ان هذه الكلمات ما جهارها رسول الله صلى الله عليه
وما ذكرها دفعة واحدة وانما جمعها الما يلوح الى التشبيه
وقد بينا ان الجمع هو التاخير في الابهام والتلبيس على الافهام

مالیس لاحاد کلام المفرقة وانما هی کلمات لم یجر بها رسول الله
فی جمیع عمره فی اوقات متباعدة واذا اقتصر منها علی ما فی
القرآن وفی الاخبار المتواترة رجعت الی کلمات یسیرة
معدودة وان اضیف الیه الاخبار الصحیحة فهی ایضا
قلیلة وانما کثر بالروایات الشاذة البعیدة الضعیفة
التی لا یجوز الالتفات الیها ثم ما تواتر منها اوضح نقلها
عن العدول فهی احاد کلمات وما ذکر صلی الله علیه کلمة منها الا
مع قرائن واشارات ورموز تزیل عنها ایهام التشبیه
ادرکها الحاضرون المشاهدون فاذا نقل الالفاظ مجردة عن تلک
القرائن ظهر الایهام واعظم القرائن فی زوال الایهام المعرفة
السابقة بتقدیس الله تعالی عن قبول معانی هذه الظواهر
ومن سبقت معرفته بذلک کانت تلک المعرفة ذخیرة
له راسخة فی نفسه مقارنة لکل ما یسمع فینحق به الایهام
انحاقا ولا شک فیه ویعرف هذا بامثلة الاول انه صلی الله علیه
سمی الکعبة ببیت الله تعالی واطلاق هذا یوهم عند الصبیان
وعند من یقرب درجته منهم ان الکعبة وطنه ومثواه ومستقره
لکن العوام الذین اعتقدوا الله فی السماء وانه مستقر علی العرش
یتحقق فی حقهم هذا الایهام علی وجه لا یشکون فیه فلو قیل
لهم ما الذی دعا رسول الله الی اطلاق هذا
اللفظ الموهم المخیل الی السامع ان الکعبة
مسکنه ووطنه لبادروا بجمعهم
وقالوا هذا انما یوهم فی

حق الصبیان والحمقی اما من تکرر علی سمعه ان الله مستقر
علی العرش فلا یشک عند سماع هذا اللفظ انه لیس المراد به
ان البیت مسکنه ومثواه بل یعلم علی البدیهة ان المراد بهذه
الاضافة نوع من التشریف او معنی اخر سوی ما وضع له لفظ
البیت المضاف الی ربه وساکنه البیس کان اعتقاده انه
علی العرش قرینة افادته علما قطعیا بانه ما اراد بکون الکعبة
بیته انه مثواه وان هذا انما یوهم فی حق من لم یسبق الی
هذه العقیدة فکذلک رسول الله خاطب بهذه الالفاظ جماعة
سبقوا الی علم التقدیس ونفی التشبیه وانه منزه عن
الجسمیة وعوارضها فکان ذلک قرینة قطعیة مزیلة
للایهام لا یبقی معها شک وایهام وان جاز ان یبقی بعضهم
تردد فی تاویله وتعیین المراد به من جملة ما یحتمله اللفظ
ویلیق بجلال الله تعالی مثال ثانی اذا اردد الفقیه
فی کلامه لفظ الصورة بین یدی الصبی او العامی فقال
صورة هذه المسئلة کذا وصورة تلک الواقعة کذا ولقد
صورت المسئلة صورة فی غایة الحسن ربما توهم الصبی
او العامی الذی لا یفهم معنی المسئلة ان المسئلة شیء لها صورة
وفی تلک الصورة انف وفم وعینین علی ما عرفه واشتهر
عنده من معنی الصورة المعروفة اما من عرف حقیقة
المسئلة وانها عبارة عن علوم مرتبة ترتیبا مخصوصا
فهل یتصور ان یتوهم للمسئلة عینا وانفا وفما وصورة
من جنس صور الاجسام المبینات بل یکفیه معرفته بان
المسئلة منزهة عن الجسمیة وعوارضها فکذلک

معرفة نفي الجسمية عن حقيقة الالهية وتقديسها عنها
تكون قرينة في قلب كل مستمع مفهمة لمعنى الصورة في
قوله خلق ادم على صورته وسبحب العارف بتقديسه عن
الجسمية ممن يتوهم لله تعالى الصورة الجسمانية كما يتعجب
ممن يتوهم للمسلة والواقعة صورة جسمانية مثال ثالث
اذا قال القايل بين يدي الصبي بغداد في يد الخليفة ربما
ظن وتوهم ان بغداد في بين اصابع الخليفة وانه قد احتوى
عليها بيراجمه كما احتوى على حجرة ومدرة وكذلك كل عامي
لم يفهم المراد بلفظ بغداد اما من علم ان بغداد عبارة عن بلدة
كبيرة واسعة الاكناف هل يتصور ان يخطر له ذلك او
يتوهم وهل يتصور ان يعترض على قايله ويقول له لم قلت
بغداد في يد الخليفة وهذا يقضي الجهل ويوهم خلاف الحق
حتى يعتقد ان بغداد بين اصابعه بل لو اعترض قيل له
يا سليم القلب هذا انما يوهم الجهل عليك لانك لا تعرف
حقيقة بغداد اما من يعلمه فبالضرورة يعلم انه ما اراد
بهذه اليد العضو المشتمل على الكف والاصابع بل معنى اخر
ولا تحتاج في فهمه الى قرينة سوى هذه المعرفة فكذلك
جميع الالفاظ الموهمة في الاخبار تكفي في دفع ايهامها
قرينة واحدة وهي معرفة الله تعالى ومعرفة انه ليس بجسم وليس
من جنس الاجسام وهذا لما فتح رسول الله
بينا انه في اول بعثته قبل النطق بهذه الالفاظ
مثال رابع قال صلى الله عليه وسلم في وصاله اطولكن يدا

اسرعكن لحاقا بي فكان بعض نسوته تتعرف الطول بالمساحة
ووضع اليد على اليد حتى ذكر لمن انه اراد بذلك السماحة والجود
دون طول العضو وكان رسول الله ذكر هذه اللفظة مع
قرينة افهم به ارادة الجود والتعبير بطول اليد عنه فلما
نقل اللفظ مجردا عن قرينة حصل منه الابهام فهل كان لاحد
ان يعترض على رسول الله في اطلاقه لفظا جهل بعضهم معناه
انما ذلك لانه اطلق اطلاقا مفهما في حق الحاضرين مقرونا
مثلا بذكر السخاوة والناقل قد ينقل اللفظ كما سمعه ولا ينقل
القرينة اذ كان بحيث لا يمكن نقلها او ظن انه لا حاجة الى
نقلها وان من يسمع يفهمه كما فهمه هو لما سمعه وربما لا يشعر
ان فهمه انما كان بسبب القرينة فاقتصر على نقل اللفظ فبمثل هذه
الاسباب بقيت الالفاظ مجردة عن قرائنها فقصرت
عن التفهيم مع ان قرينة معرفة التقديس بمجردها كافية
في نفي الابهام وان كانت ربما لا تكفي في تعيين المعنى المراد به
فهذه الدقائق لا بد من التنبه لها مثال خامس
اذا قال بين يدي الصبي ومن يقرب منه درجته ممن لم يمارس
الاحوال ولا عرف العادات في المجالسات فلان دخل
المجمع وجلس فوق فلان يوهم السامع الغبي انه جلس على
راسه او على مكان فوق راسه ومن عرف العادات وعلم
ان ما هو اقرب الى الصدر اعلى في الرتبة وان الفوق عبارة
عن العلو يفهم منه انه جلس بجنبه لا فوق راسه ولكنه جلس
اقرب الى الصدر فالاعتراض على مخاطب بهذا الكلام اهل

المعرفة بالعادات من حيث انه جعل الصبيان او
الاعجميا اعتراض باطل لا اصل له وامثلة ذلك مما لا يتناهى
ومما لا يقع باليسير لا يزيد التكثير الا تحيرا فقد
نهجنا على القطع بهذه الامثلة ان هذه الالفاظ الصريحة
انقلبت مفهوماتها عن اوضاعها الصريحة بمجرد قرينة
ورجعت تلك القرائن الى معارف سابقة ومقترنة
فكذلك هذه الظواهر الموهمة انفكت عن الايهام بسبب
تلك القرائن الكثيرة التي بعضها من المعارف والواحد منها
معرفتهم بانهم لم يؤمروا بعبادة الاصنام وان من عبد
جسما فقد عبد صنما كان الجسم صغيرا او كبيرا او قبيحا
او جميلا سافلا او عاليا على الارض او على العرش فكان نفي
الجسمية ونفي لوازمها معلوما لكافتهم على الضرورة
بما علام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمبالغة في التنزيه لو لم يعلم
ليس كمثله شيء ونقوله ولم يكن له كفوا احد ونقوله فلا تجعلوا
لله اندادا وبالفاظ كثيرة لا حصر لها مع قرائن قاطعة لا
يمكن حكايتها وعلم ذلك علما لا ريب فيه فكان ذلك كافيا
في بعده فهم استحالة يد هي عضو مركب من لحم وعظم
او من جسم اخر غيره وكذي في سائر الظواهر بانها لا
لا تدل الا الجسمية وعوارضها لو اطلق على جسم واذا
اطلق على غير الجسم علم ضرورة انه ما اريد به ظاهره بل
معنى اخر مما يجوز على الله وربما يتعين ذلك المعنى وربما لا يتعين

فان قيل فلم لم يذكر بالفاظ ناصة عليها بحيث لا يوهم ظاهرها
جهلا ولا في حق العامي والصبي قلنا لانه انما كلم الناس بلغة
العرب وليس في لغة العرب الفاظ ناصة على تلك المعاني
وكيف يكون في اللغة لها نصوص وواضع اللغة لم يفهم تلك
المعاني وكيف وضع لها النصوص بل هي معاني ادرك بنور النبوة
خاصة او بنور العقل بعد طول النظر والبحث وذلك
ايضا في بعض تلك الامور لا في كلها فلما لم يكن لها عبارات
موضوعة كان استعارة الالفاظ من موضوعات اللغة
ضرورة في حق كل ناطق بتلك اللغة كما انا لا نستغني عن ان
نقول صورة هذه المسئلة كذي وهي تخالف صورة المسئلة
الاخرى وهي مستعارة من الصورة الجسمانية ولكن واضع
اللغة لم يضع لخيالة المسئلة وخصوص ترتيبها اسما خاصا
اما لانه لم يفهم المسئلة وحقيقتها وفهمها لكنه لم يحضره
او حضره لكنه لم يضع له لفظا خاصا اعتمادا على امكان الاستعارة
ولانه علم انه عاجز عن ان يضع لكل معنى لفظا خاصا ناصا
لان المعاني غير متناهية العدد والموضوعات بالضرورة يجب
ان يتناهى فيبقى معاني لا نهاية لها يجب ان يستعار اسمها
من الموضوع فاكتفى بوضع البعض وساير اللغات اشد قصورا
من لغة العرب فهذا وامثاله من الضرورة يدعوا الى الاستعارة
من يتكلم بلغة قوم اذ لا يمكنه ان يخرج عن لغتهم كيف ويحن
نجوز الاستعارة حيث لا ضرورة اعتمادا على القرائن فانا لا
نفرق بين ان يقول القايل جلس زيد فوق عمرو وبين ان يقول
جلس اقرب منه الى السماء وان بغداد في ولاية الخليفة

او في يده اذا كان الكلام مع العقلا وليس في الامكان حفظ
الالفاظ عن اوهام الصبيان والجهال والاشتغال بالاحتراز
عن ذلك ركاكة في الكلام وسخافة في العقل وثقل في اللفظ
فان قيل فلم لم يكشف الغطاء عن ذات الاله فلم يقل
انه موجود ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا هو داخل العالم
ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل ولا هو في مكان ولا هو في
جهة بل الجهات كلها خالية عنه فهذا هو الحق عند قوم
والافصاح عنه كذلك كما افصح عنه المتكلمون ممكن
ولم يكن في عبارته صلوات الله عليه قصور ولا في رغبته
في كشف الحق فتور ولا في معرفته نقصان قلنا
من راى هذه الحقيقة الحق اعتذر بان هذا الوذكر لنفر الناس
عن قبوله ولبما درروا بالانكار وقالوا هذا عين المحال
ووقعوا في التعطيل ولا خير في المبالغة في تنزيه بتنفير
التعطيل في حق الكافة الا الاقلين وقد بعث رسول الله
داعيا الخلق الى سعادة الاخرة رحمة للعالمين فكيف
ينطق بما فيه هلاك الاكثرين بل امر ان لا يكلم الناس
الا على قدر عقولهم وقال صلى الله عليه من حدث الناس
بحديث لا يفهمونه كان فتنة على بعضهم او لفظ هذا
معناه فان قيل ان كان في المبالغة في التنزيه خوف
التعطيل بالاضافة الى البعض ففي استعمال الالفاظ الموهمة
خوف التشبيه بالاضافة الى البعض قلنا بينهما فرق
من وجهين احدهما ان ذلك يدعو الى التعطيل في حق الاكثرين

وهذا يدعوا الى التشبيه في حق الاقلين واهون الضررين
اولى بالاحتمال واعم الضررين اولى بالاجتناب والثاني
ان علاج وهم التشبيه اسهل من علاج التعطيل اذ يكفي
ان يقال مع هذه الظواهر ليس كمثله شيء وانه ليس بجسم
ولا هو مثل الاجسام واما اثبات موجود في الاعتقاد على
ما ذكرناه من المبالغة في التنزيه شديد جدا بل لا يقبله
واحد من الالف لا سيما الامة الامية العربية فان قيل
فعجز الناس عن الفهم هل يعد عذرا للانبيا في ان يثبتوا في
عقايدهم امورا على خلاف ما هي عليه لتثبت في اعتقادهم
اصل الالهية حتى عندهم مثلا ان الله مستقر على العرش
وانه ساكن في السماء وانه فوقهم فوقية المكان لا فوقية
الرتبة قلنا معاذ الله ان يظن ذلك او يتوهم بنبي صادق
ان يصف الله بغير ما هو متصف به وان يلقي ذلك في اعتقاد
الخلق لا بل تاثير قصور الخلق في ان يذكر لهم ما يطيقون فهمه
ويكف عنهم ما لا يفهمونه فلا يعرفهم بل يمسك عنهم وانما
ينطق به مع من يطيقه ويفهمه ويحصل في ذلك علاج
عجز الخلق وقصورهم ولا ضرورة في تفهيم خلاف الحق قصدا
لا سيما في صفات الله نعم به ضرورة في استعمال الفاظ مستعارة
ربما يغلط الاغبيا في فهمها وذلك لقصور اللغات وضرورة المحاورات
فاما تفهيم خلاف الحق قصدا الى التخييل فمحال سواء فرض فيه
مصلحة او لم يفرض فان قيل فقد جهل اهل التشبيه جهلا
بسبب التفاته الى الفاظه وعلم ان الفاظه في الظواهر يقضي الجهل بها
ورضي به فهما جاء بلفظ مجهل ملبس ورضي به لم يفترق الحال

بين ان يكون مجردا قصده الى التجهيل ومن ان لا يقصد التجهيل
مما حصل التجهيل وهو عالم به وراض به قلنا لانه يسلم ان
جهال اهل التشبيه حصل بالفاظه بل بتقصيرهم في كسب
معرفة التقديس وتقديمه على النظر في الالفاظ ولو حصلوا
تلك العلوم التي كلفوا بها وهو قدموها على البحث عن الالفاظ
لما جهلوا كما ان من حصل علم التقديس لم يجهل عند سماعه
ان الكعبة بيت الله ومن حصل العلم بحقيقة المسئلة لم يجهل
عند سماعه ان صورة المسئلة كذى بل الواجب عليهم تحصيل هذا
العلم ثم مراجعة العلماء اذا اشكل في ذلك ثم كف النفس عن التاويل
والزامها التقديس اذا رسم لهم العلماء ذلك فاذا لم يفعلوا جهلوا
وعلم الشارع بان الناس من طباعهم الكسل والتقصير والفضول
والخوض فيما ليس من شانهم ليس رضا بذلك ولا سعيا في تحصيل
الجهل ولكنه رضا بقضاء الله في قسمته وتقديره حيث قال
وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
وقال ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين
الا من رحم ربك ولذلك خلقهم ولو شاء ربك لآمن من في الارض
كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين وما كان لنفس
ان تومن الا باذن الله فهذا هو القهر الالهي في فطرة الخلق
ولا قدرة للانبياء في تغيير سننه التي لا تبديل لها فصل
لعلك تقول الكف عن السوال والامساك عن الجواب
من اين تعنى وقد شاع في البلاد هذه الاختلافات
وظهرت التعصبات فكيف سبيل الجواب اذا سئل عن
هذه المسايل قلنا الجواب ما قاله مالك في مسئلة الاستواء
اذ قال

غير معقولة لا بد الكيف

الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب
والسوال عنه بدعة فنذكر هذا الجواب في كل مسئلة سئل
عنها العوام لينحسم سبيل الفتنة ولا تقتحم العوام ورطة
الخطر فان قيل فاذا قال القايل ما قولكم في الاستواء والفوق
واليد والاصبع فبماذا يجيب قلنا سبيل الجواب ان يقال
الحق فيه ما قاله الرسول وقاله الله وقد صدق حيث قال
الرحمن على العرش استوى ونعلم قطعا انه ما اراد الجلوس والاستقرار
الذي هو صفة الاجسام ولا ندري ما الذي اراده ولم يكلف معرفته
وقد صدق حيث قال وهو القاهر فوق عباده وفوقية المكان
محال فانه كان قبل المكان وهو الآن على ما عليه كان واذا لم يرد هذا
فما الذي اراده فلسنا نعرفه وليس علينا وعليك ايها السايل معرفته
وكذلك نقول لا يجوز اثبات اليد والاصبع مطلقا بل يجوز
النطق بما نطق به رسول الله على الوجه الذي نطق به من غير
زيادة ونقصان وجمع وتفريق وتاويل وتفسير كما سبق
فنقول صدق حيث قال خمر طينة ادم بيده وحيث قال
قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن فهو من ذلك وما
يزيد ولا ينقص وينقل كما روي ويقطع بنفي العضو المركب
من اللحم والعصب والدم وساير الاجسام واذا قيل
القران قديم او مخلوق قلنا هو غير مخلوق لقوله صلى الله عليه وسلم
القران كلام الله غير مخلوق فان قيل فالحروف قديمة ام لا
قلنا في الجواب عن هذه المسئلة لم يذكرها الصحابة ولم يخوضوا فيها
فالخوض فيها بدعة فلا تسالوا عنها فان سئل الانسان
في بلدة غلبت الحشوية وكفروا من لا يقول بقدم الحروف

فيقول المضطر الى الجواب ان عنيت بالحروف نفس
القران فالقران قديم وان اردت به غير القران وصفات الله
فما سوى الله وصفاته محدث ولا نزيد عليه لان تفهيم
العوام حقيقة هذه المسئلة عسير جدا فان قالوا فقد
قال صلى الله عليه من قرا حرفا من القران فله كذى فاثبت الحروف
للقران ووصف القران بانه مخلوق فيلزم منه ان الحرف قديم
قلنا لا نزيد على ما قاله الرسول وهو ان القران غير مخلوق فهذه
مسئلة وان في القران حروفا وهذه مسئلة اما ان الحروف قديمة
فهذه مسئلة ثالثة ولم نرد فلا نقول به ولا نزيد على ما قاله
الرسول صلى الله عليه فان زعم انه يلزم من المسلمتين السابقتين هذه
المسئلة الثالثة قلنا هذا قياس البقريع وقد بينا انه لا سبيل
الى القياس والتفريع بل يجب الاقتصار على ما ورد من غير تفريع
وكذلك اذا قالوا عربية القران قديمة لانه قال القران قديم
وقال تعالى انا انزلناه قرانا عربيا فالعربي قديم فنقول اما
ان القران عربي فحق اذ نطق به القران واما القران قديم فحق
نطق به الرسول واما ان عربية القران قديمة فهذه مسئلة
ثالثة لم يرد فيها انها قديمة فلا يلزم القول بها فعلى هذا
الوجه تلجم العوام والحشوية عن التصرف فيه وتزمهم عن
القياس والقول بل نزيد في التضييق على هذا ونقول اذا
قال القران كلام الله غير مخلوق فهذا لا يرخص في ان يقول
القران قديم ما لم يرد لفظ القديم اذ فرق بين غير المخلوق والقديم
اذ يقال كلام فلان غير مخلوق اي غير موضوع وقد يقال المخلوق
بمعنى المختلق ولفظ غير المخلوق يتطرق اليه هذا ولا يتطرق
الى لفظ القديم فبينهما فرق

ونحن نعتقد قدم القران لا لمجرد هذا النظر فان هذا اللفظ
لا ينبغي ان نحرف ونبدل ويفسر ونصرف بل يلزم ان نعتقد
انه حق بالمعنى الذي اراده فكل من وصف الحرف بانه غير مخلوق
من غير نقل نص فيه مقصود فقد ابدع وزاد وما عن مذهب
السلف وجاد

فصل فان قيل من المسايل المعروفة قولهم
ان الايمان قديم فاذا سئلنا عنه فبم نجيب قلنا ان ملكنا
نظام الامر واستولينا على السايل منعناه عن هذا الكلام السخيف
الذي لا جدوى له وقلنا ان هذا بدعة وان كنا مغلوبين في بلادهم
فنجيب ونقول ما الذي اردت بالايمان ان اردت به شيئا
من القران او من صفات الله فجميع صفات الله تعالى قديمة
وان اردت شيئا من معارف الخلق وصفاتهم فجميع صفات
الخلق مخلوقة وان اردت ما ليس صفة للخلق ولا صفة للخالق
فهو غير مفهوم ولا يتصور ولا يفهم ولا يتصور ذاته كيف
يفهم حكمه في القدم والحدوث والاصل زجر السايل والسكوت
عن الجواب هذا صفو مذهب السلف فلا عدول عنه الا
لضرورة وسبيل المضطر ما ذكرناه فان وجدنا ذكيا مستعدا
الحقايق كشفنا الغطا عن المعلة وخلصناه عن الاشكال
في القران وقلنا له اعلم ان كل شيء فله في الوجود اربع مراتب
وجود في الاعيان ووجود في الاذهان ووجود في اللسان
ووجود في البياض المكتوب عليه كالنار مثلا فان لها وجودا
في النقوش ولها وجود في الخيال والذهن واعني بهذا الوجود
العلم بصورة النار وحقيقتها ولها وجود في اللسان وهي
الكلمة الدالة عليه اعني لفظ النار

ولها وجود في البياض المكتوب عليه بالرقوم والاجزا
وصفة خاصّة للنار كالقدم للقران وللكلام الله تعالى والمحرف
من هذه الجملة الذي في التنور دون الذي في الاذهان وفي اللسان
وعلى البياض اذ لو كان المحرف في البياض او اللسان لاحترق ولكن
لو قيل لنا النار محرقة قلنا نعم فان قيل لنا كلمة النار محرقة
قلنا لا فان قيل حروف كلمة النار محرقة وهي النون والالف
والرا قلنا لا فان قيل فرقوم هذه الحروف على البياض محرقة
قلنا لا فان قيل المذكور بكلمة النار والمكتوب بكلمة النار يحرق
قلنا نعم لان المذكور والمكتوب بهذه الكلمة وما في التنور يحرق
فكذلك القدم وصف كلام الله تعالى كالاحراق وصف النار
وما يطلق عليه اسم القران وجوده على اربع مراتب اوّلها
وهو الاصل وجوده قائما بذات الله يضاهي وجود النار في
التنور ولله المثل الاعلى لكن لا بد من هذه الامثلة في تفهيم
العجزة والقدم وصف خاصّ لهذا الوجود والثانية وجوده
العلمي في اذهاننا عند التعلم قبل ان ننطق بلساننا ثم
وجوده في لساننا بتقطّع اصواتنا ثم وجوده في الاوراق
بالكتبة فاذا سئلنا عمّا في اذهاننا من علم القران قبل النطق
به قلنا علمنا صفتنا وهي مخلوقة لكن المعلوم به قديم
كما انّ علمنا بالنار وثبوت صورتها في خيالنا غير محرق لكن
المعلوم به محرق واذا سئلنا عن صوتنا وحركة لساننا
ونطقنا قلنا ذلك صفة لساننا ولساننا حادث
قصوته توجد بعده وما هو بعد الحادث حادث بالضرورة
لكن منطوقنا ومذكورنا ومقروئنا ومتلوّنا بهذه الاصوات

الحادثة قديم كما اذا ذكرنا حروف النار على بلساننا كان
المذكور بهذه الحروف محرقا واصواتنا وتقطع اصواتنا غير
محرق الا ان نقول قائل حروف النار عبارة عن نفس النار قلنا
ان كان كذلك فحروف النار محرقة وحروف القران ان كان عبارة
عن نفس المقروء فهي قديمة وكذلك المخطوط بر قوم النار
والمكتوب به محرقة لان المكتوب هو نفس النار اما الرقم الذي
هو صورة النار غير محرق فانه في الاوراق من غير احراق واحتراق
فهذه اربع درجات في الوجود يشتبه على العوام ولا يمكنهم
ادراك قسم تفاصيلها وخاصيّة كل واحد منها فلذلك لا نخوض معهم
فيها لا لجهلنا بحقيقة هذه الامور وآية تفاصيلها ان النار من حيث انها
انها توصف بانها محرقة وحامية ومشتعلة ومن حيث انها
في اللسان توصف بانها عجمي وتركي وعربي وكثير الحروف وقليله
وما في التنور لا ينقسم الى العربي والتركي وما في اللسان لا يوصف
بالخمود والاشتعال واذا كان مكتوبا على البياض يوصف
بانه احمر واخضر واسود وانه مخطط بقلم المحقق او الثلث
او الرقاع او قلم النسخ وهو في اللسان لا يمكن ان يوصف بذلك
واسم النار مطلق على ما في التنور وما في القلب وما في اللسان وما
على القرطاس لكن باشتراك الاسم فاطلق على ما في التنور حقيقة
وعلى ما في الذهن من العلم لا بالحقيقة لكن بمعنى انه صورة محاكية
للنار كما ان ما يرى في المرآة يسمّى انسانا ونارا لا بالحقيقة
ولكن بمعنى انها صورة محاكية للنار الحقيقي والانسان
وما في اللسان من الكلمة يسمى باسمه بمعنى ثالث وهو انه دالة
دالة على ما في الذهن وهذا يختلف بالاصطلاحات والاول

والثاني لا اختلاف فيه وما في القرطاس يسمى نارا بمعنى رابع وهو
انّ رقوم تدل بالاصطلاح على ما في اللسان ومهما فهم اشتراك
اسم القرآن والنار وكل شيء من هذه الامور الاربعة فاذا ورد
في الخبر ان القرآن في قلب العبد وانه في المصحف وانه في
لسان القارئ وانه صفة في ذات الله صدق بالجميع وفهم معنى
الجميع ولم يتناقض عنده الاخبار وصدق بالجميع مع الاحاطة
بحقيقة المراد وهذه امور جليّة دقيقة الا جلى منها عند
الفطن الذكي والادق واغمض منها ضد البليد الغبي فحق
البليد ان يمنع من الخوض فيه ويقال له قل القرآن غير مخلوق
واسكت ولا تزد عليه ولا تنقص ولا تفتش عنه ولا تبحث
واما الذكي فيروح عن غمة هذا الاشكال في لحظة ويعرف
بان لا يحدث العامي به وان لا يكلفه ما ليس في طاقته وهكذا
جميع مواضع الاشكالات في الظواهر فيظن حقايق جليّة
لارباب البصاير ملتبسة على العميان من العوام ولا ينبغي
ان يظن بالاكابر السلف عجزهم عن معرفة هذه الحقيقة
وان لم يخرجوا الفاظها تخرج صنعة ولكنهم عرفوه وعرفوا
عجز العوام فسكتوا عنهم واسكتوهم وذلك عين الحق
والصواب ولا اعني بالاكابر السلف الاكابر من حيث الجاه
والاشتهار لكن من حيث الغوص على المعاني والاطلاع على الاسرار
وعند هذا تمام انقلب الامر في حق العوام واعتقدوا
في الاشهر الاكبر وذلك سبب اخر من اسباب الضلال

فصل فاذا قال قايل العامي اذا منع من البحث والنظر

لم يعرف الدليل ومن لم يعرف الدليل كان جاهلا بالمدلول
وقد امر الله سبحانه كافة عباده بمعرفته الى بالايمان به
والتصديق بوجوده اولا وبتقديسه عن سمات الحوادث
ومشابهة غيره ثانيا وبوحدانيته ثالثا وبصفاته
من العلم والقدرة ونفوذ المشيّة وغيرها رابعا وهذه
الامور ليست ضروريّة فهي اذن مطلوبة وكل علم مطلوب
فلا سبيل الى اقتناصه وتحصيله الا بشبكة الادلة
ولا بدّ من النظر في الادلة والفطن لوجه دلالتها
على المطلوب فكيفيّة اتناجها له وذلك لا يتم
الا بمعرفة شروط البراهين وكيفيّة ترتيب المقدمات
واستنتاج النتايج وتتجر ذلك بالضرورة شيئا شيئا
الى تمام البحث واستيفاء علم الكلام الى آخر النظر في المعقولات
وكذلك يجب على العامي ان يصدق الرسول في كل ما جاء به
وصدقه ليس بضروري بل هو مبني على العلم بالخالق فلا بد من
دليل يميزه عن غيره ممن تحدى بالنبوة كاذبا ولا
يمكن ذلك الا بالنظر في معجزته ومعرفة حقيقته
المعجزة وشروطها الى آخر النظر في النبوات وهو ثلث
علم الكلام قلنا الواجب على الخلق الايمان بهذه الامور
والايمان عبارة عن تصديق جازم لا تردد فيه ولا
شعر صاحبه بامكان وقوع الخطا فيه وهذا التصديق
الجازم تحصل على ستة مراتب الاولى وهي اقصاها
ما تحصل بالبرهان المستقصى المستوفى شروطه

المجرد اصوله ومقدماته درجة درجة وكلمة كلمة
حتى لا يبقى مجال احتمال وممكن التباس وذلك هو
الغاية القصوى وربما يتفق في كل عصر واحد او اثنين
ممن ينتمي الى تلك الرتبه وقد خلوا العصر عنه ولو كانت
النجاة مقصورة على مثل تلك المعرفة لكانت النجاة
وفيل الناجون الثانيه ان تحصل بالادلة الرسمية
الكلامية المبنية على امور مسلمة مصدق بها
لاستظهار الاكابر العلماء وشناعة انكارها ونفرة
ونفرة النفوس عن ابداء المراء فيها وهذا الجنس ايضا
يفيد في بعض الامور وفي حق بعض الناس تصديقا جازما
بحيث لا يشعر صاحبه بامكان خلافه اصلا
الثالثة ان تحصل التصديق بالادلة الخطابية
اعني القدر الذي جرت العادة باستعمالها
في المحاورات والمخاطبات الجارية في
العادات وذلك يفيد في حق الاكثرين
تصديقا بادي الرأي وسابق الفهم اذا لم يكن الباطن
مشحونا بتعصب فبرسوخ اعتقاد على خلاف مقتضى
الدليل ولم يكن المستمع مشعوفا بتكلف المماراة والتشكك
ومتبجحا بتجادل المجادلين في العقايد واكثر ادلة
القرآن هذا الجنس في الدليل الظاهر المفيد للتصديق

قولنا لا ينتظم تدبير المنزل بمدبرين ولو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا فكل طلب باق على الفطرة غير مشوش بمماراة
المجادلين يسبق من هذا الدليل الى فهمه تصديق جازم بوحدانية
الخالق لكن لو شوشه مجادل وقال لم يبعد ان يكون العالم
بين الهين يتوافقان ويتعاونان على التدبير ولا يختلفان فاسمعه
هذا القدر يشوش عليه تصديقه ثم ربما يعسر حل هذا
السوال ودفعه في حق بعض الافهام القاصرة فيستولي الشك
ويعسر الرفع وكذلك من الجلي ان من قدر على الخلق فهو على الاعادة
اقدر كما قال تعالى قل يحييها الذي انشاها اول مرة فهذا لا يبعد
احد من العوام ذكي او غبي الا ويبادر الى التصديق ويقول
نعم ليست الاعادة بابدع من الابتداء بلى هي اهون وممكن
ان يشوش عليه بسوال ربما يعسر عليه فهم جوابه
والدليل المستوفي هو الذي يفيد التصديق بعد تمام الاسولة
وجوابها بحيث لا يبقى للسوال مجال والمصدق بحصل
قبل ذلك الرابعة التصديق بمجرد السماع ممن حسن
فيه الاعتقاد بسبب كثرة ثناء الخلق فان من حسن اعتقاده
في ابيه واستاذه او في رجل من الافاضل المشهورين قد
يخبره عن شيء كموت شخص وقدوم غايب وغيره
فيسبق اليه اعتقاد جازم وتصديق بما اخبر عنه بحيث
لا يبقى لغيره مجال في قلبه ومنشاه حسن اعتقاده فيه
فالمجرب بالصدق والورع والتقوى مثل الصديق رضي الله عنه
اذ قال قال رسول الله كذبي فكم من مصدق به جزما وقابل له
قبولا مطلقا

لا مستند لقبوله الا حسن اعتقاده فيه فمثله اذا القى العامى
اعتقادا وقال له اعلم ان خالق العالم واحد وانه عالم قادر
وانه بعث محمدا رسولا بادر الى التصديق ولم تخالجه ريب
وشك فى قوله وكذلك اعتقاد الصبيان فى ابائهم ومعلميهم
فلا جرم يسمعون الاعتقادات ويصدقون به ويستمرون
عليه من غير حاجة الى دليل وحجة الرتبة الخامسة
التصديق الذى يسبق اليه العلم عند سماع الشئ مع قرائن
احوال لا تفيد القطع عند المحقق ولكن يلقى فى قلب
العوام اعتقادا جازما كما اذا سمع بالتواتر مرض رئيس البلد
ثم ارتفع صراخ وعويل من داره ثم سمع من احد غلمانه انه
قد مات اعتقد العامى جزما انه مات وبنى عليه تدبيره
ولا تخطر بباله ان الغلام ربما قال ذلك عن ارجاف سمعه
وان الصراخ والعويل لعلة عن غشية او شدة من الم
سبب اخر لكن هذه خواطر بعيدة لا تخطر للعوام فيطبع
فى قلبه الاعتقادات الجازمة وكم من اعرابى نظر الى
اسارير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم والى احسن كلامه
ولطف شمائله واخلاقه فآمن به وصدقه تصديقا جازما
لم تخالجه ريب من غير ان طالبه بمعجزة يقيمها ويذكر وجه
دلالتها الرتبة السادسة ان يسمع القول فيناسب
طبعه واخلاقه فيبادر الى التصديق بمجرد موافقته
لطبعه لا من حيث اعتقاد فى قائله ولا من قرينة تشهد
له لعن لمناسبته ما فى طباعه

فالحريص على موت عدوه وقتله وعزله يصدق بجميع ذلك
بادنى ارجاف ويستمر على اعتقاده جازما ولو اخبر بذلك
فى حق صديقه او بشئ مما يخالف شهوته وهواه توقف
فيه لو اباه كل الاباء وهذه اضعف التصديقات وادنى
الدرجات لان ما قبله استند الى دليل ما وان كان ضعيفا من
قرينة او حسن اعتقاد فى المخبر او نوع من ذلك وهى امارات
يظنها العامى ادلة فيعمل فى حقه عمل الادلة واذا عرفت
مراتب التصديق فاعلم ان مستند ايمان العوام هذه الاسباب
واعلى الدرجات فى حقه ادلة القرآن وما يجرى مجراه مما
يحرك القلب الى التصديق ولا ينبغى ان يجاوز بالعامى الى
ما وراء ادلة القرآن وما فى معناه من الحكايات المقنعة الميلة
للقلوب المستجيبة لها الى الطمانينة والتصديق فما
وراء ذلك ليس على قدر طاقته واكثر الناس امنوا فى الصبى
وكان سبب تصديقهم مجرد التقليد للاباء والمعلمين
لحسن ظنهم بهم وكثرة ثنائهم على انفسهم وثنائهم
عليهم وشدة ذمهم النكير بين اديهم على مخالفيهم وحكايات
انواع النكال النازل بمن لا يعتقد اعتقادهم وقولهم
ان فلان اليهودى مسخ فى قبره كلبا وفلان الرافضى انقلب
خنزيرا وحكايات ومنامات واحوال من هذا الجنس
يغرس به فى نفوس الصبيان النفرة عنه والميل الى ضده حتى
ينزع الشك بالكلية عن قلبه فالتعلم فى الصغر كالنقش
فى الحجر ثم يقع نشوه عليه ولا يزال يولد ذلك فى نفسه

فاذا بلغ استمر على اعتقاده الجازم وتصديقه المحكم الذي
لا تخالجه فيه ريب ولذلك ترى اولاد النصارى والروافض
والمجوس والمسلمون كلهم لا يتبعون الا على عقايد اباءهم واعتقاداتهم
في الحق والباطل جازمة ولو قطعوا ارتابا لما كاعوا عنها
وقط لم سمعوا عليه دليلا لا حقيقيا ولا رسميا وكذلك
ترى العبيد والاماء يسبون من المشترك ولا يعرفون الاسلام
فاذا وقعوا في اسر المسلمين ومحبوبهم مدة وراى ميلهم الى
الاسلام مالوا معهم واعتقدوا اعتقادهم وتخلقوا باخلاقهم
كل ذلك لمجرد التقليد والتشبيه بالغير والطباع
مجبولة على التشبه لا سيما طباع الصبيان واهل الشباب
فبهذا تعرف ان التصديق الجازم غير موقوف على البحث
وتحرير الادلة فصل لعلك تقول لا انكر حصول
التصديق الجازم في قلوب العوام بهذه الاسباب ولكن
ليس ذلك من المعرفة في شيء وقد كلف الناس المعرفة
الحقيقية دون اعتقاد هو من جنس الجهل لا سيما فيه
الباطل عن الحق فالجواب ان هذا غلط ممن
ذهب اليه بل سعادة الخلق في ان يعتقد والشيء على
هو عليه اعتقادا جازما لينتقش قلوبهم بالصورة
الموافقة لحقيقة الحق حتى اذا ماتوا وانكشف لهم الغطا
فشاهدوا الامور على ما اعتقدوها ولم يفتضحوا ولم يحترقوا
بنار الخزي والخجلة اولا وبنار جهنم ثانيا وصورة الحق
اذا انتقش به قلبه فلا نظر الى السبب المفيد له هو دليل

حقيقي او رسمي او اقناعي او قبول عن الاعتقاد وفي
قائله او قبول بمجرد التقليد من غير سبب فليس
المطلوب الا الدليل المفيد بل الغاية وهي حقيقة الحق على ما
عليه ممن اعتقد حقيقة الحق في الله وفي صفاته وكتبه
ورسله واليوم الاخر على ما هو عليه فهو سعيد وان لم يكن
ذلك بدليل مجرد كلامي ولم يكلف الله عباده الا ذلك
وذلك معلوم على الضرورة بجملة اخبار متواترة من رسول الله
في تواتر الاعراب عليه وعرضه الايمان عليهم وقبوله ذلك
وانصرافهم الى رعاية الابل والمواشي من غير تكليفه اياهم
التفكر في المعجزة ووجه دلالته والتفكر في حدث العالم
واثبات الصانع وفي ادلة الوحدانية وسائر الصفات بل
الاكثر من اجلاف العرب لو كلفوا ذلك لم يفهموه ولم
يدركوه بعد طول الملة بل كان الواحد منهم يحلفه ويقول
والله الله ارسلك رسولا فيقول والله الله ارسلني رسولا
وكان يصدقه بيمينه وينصرف ويقول الاخر اذا قدم عليه
ونظر اليه والله ما هو وجه كذاب وامثال ذلك مما
لا يحصى بل كان يسلم في غزوة واحدة في عصر اصحابه الوف
لا يفهم الاكثرون منهم ادلة الكلام ومن كان يفهمه فيحتاج
الى ان يترك صناعته ويختلف الى تعلمه مدة مديدة
ولم ينقل قط شيء ذلك فعلم علما ضروريا ان الله لم يكلف
الخلق الا الايمان والتصديق الجازم بما قاله كيف ما حصل
التصديق نعم لا ننكر ان للعارف درجة على المقلد ولكن
المقلد في الحق هو من

كما ان العارف مؤمن فان قلت فبم يتميز المقلد بين
نفسه وبين اليهودي المقلد قلنا المقلد لا يعرف التقليد
ولا يعرف انه يقلد بل يعتقد في نفسه انه محقق عارف
ولا يشك في معتقده ولا يحتاج مع نفسه الى التمييز
لقطعه بان خصمه مبطل وهو محق ولعله ايضا مستظهر
بقراين وادلة ظاهرة وان كانت غير قوية يدرك
نفسه مخصوصا بها ومتميزا بسببها عن خصومه
فان كان اليهودي يعتقد في نفسه مثل ذلك فلا يشوش
ذلك على المحق اعتقاده كما ان العارف الناظر يزعم
انه يميز نفسه عن اليهودي بالدليل واليهودي
المتكلم الناظر ايضا يزعم اني متميز عنك بالدليل ودعواه
ذلك لا تشككك الناظر العارف وكذلك لا يشككك
المقلد القاطع ويكفيه في الايمان ان لا يشككه في
اعتقاده معارضة المبطل كلامه بكلامه فهل رايت
عاميا قط قد اغتم وحزن من حيث يعسر عليه
الفرق بين تقليده وتقليد اليهودي بل لا يخطر ذلك ببال
العوام وان خطر ببالهم وشوفهوا به ضحكوا من قائله
وقالوا ما هذا الهذيان اذ لو كان بين الحق والباطل مساواة
حتى نحتاج الى فارق الفرق انه على الباطل وانى على الحق
وانا متيقن لذلك غير شاك فيه فكيف اطلب الفرق
حيث يكون الفرق معلوما قطعا من غير طلب فهذه
حالة المقلدين الموقنين وهذا اشكال لا يقع ليهودي

المبطل لقطعه بمذهبه مع نفسه فكيف يقع للمقلد
المسلم الذي وافق اعتقاده ما هو الحق عند الله فظهر
بهذا على القطع ان اعتقاداتهم جازمة وان الشرع لم يكلفهم
الا ذلك فان قيل فان فرضنا عاميا يجادل لجوجا
ليس يقلد وليس يقنعه ادلة القران والاقاويل الجلية
المقنعة السابقة الى الافهام فماذا يصنع به قلنا
هذا مريض مال طبعه عن صحة الفطرة وسلامة الخلقة
الاصلية فننظر في شمايله فان وجدنا اللجاج والجدل
غالبا على طبعه لم نجادله وظهرنا وجه الارض عنه
ان كان يجادلنا في اصل من اصول الايمان وان تفرسنا
فيه بالفراسة مخايل الرشد والقبول لوجاوزنا به
من الكلام الظاهر الى تدقيق الادلة عالجناه بما قدرنا
عليه من ذلك وداويناه بالجد الى المر والبرهان
الجلي وبالجملة فيجتهد ان يجادله بالاحسن كما امر
الله تعالى ورخصنا في هذا القدر من المداواة لابدال
على فتح باب الكلام مع الكافة فان الادوية تستعمل
في حق المرضى وهم الاقلون وما يعالج به المريض يحكم الضرورة
يجب ان يبقى عنه الصحيح والفطرة الصحيحة الاصلية
بعد لقبول الايمان دون المجادلة ونحن بين حقايق الادلة
وليس الضرر في استعمال الدواء مع الاصحاء باقل من الضرر
في اهمال المداواة مع المرضى فليوضع كل شيء في موضعه كما
امر الله تعالى به نبيه حيث قال ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن

كتاب المنقذ من الضلال والمفصح بالأحوال

صنفه الامام الاجل الزاهد السعيد حجة الاسلام
ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدس الله روحه

عبد المجيد الفضل الفراري الطبري
يثق بالله تعالى وحده

وفي نسخة ٢ مجموع
اول ذو لبس عمر فارض

وفي نسخة ٢ مجموع
اول الرسالة الدبيع
والقسطاس المستقيم

وفي نسخة ٢ مجموع
بخط عباس بن محمد الدلاسي
بعض فوائد من السفاوي

وفي نسخة اخرى
بخط عباس بن
محمد الدلاسي

الألوكة
www.alukah.net

والمدعو بالحكمة الى الحق قوم وبالموعظة الحسنة
قوم آخر وبالمجادلة بالاحسن قوم اخر على ما
فصلنا اقسامهم في كتاب القسطاس المستقيم فلا نطول بإعادته
وقد جمعنا في كتاب الجام العوام عن علم الكلام
وهو اخر تصانيف الامام المطلق حجة الاسلام الغزالي رحمه الله
فرغ من نسخه اوائل جمادى الآخرة سنة خمس وخمس مئة
وفرغ كاتبه عن نسخة مصنفه شعبان سنة سبع وخمس لله
الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين
وحسبنا الله وحده وكفى

ذكر ان كثيرا من الامام رحمه الله
وفاته الامام رحمه الله
في سنة خمس وخمسمائة
في يوم الاثنين الرابع
من جمادى الآخرة سنة
نعوذ بالله من شر ذلك يكون فراغه
من هذا الكتاب قبل وفاته
بهذه المدة وسنة ثمان عليه
كان من الله العون والتأييد
اللهم وفقنا للعلم والعمل
آمين يا رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ توكلت على الحي الذي لا يموت ٥
قال الامام الاجل الزاهد رضي الله عنه الاسلام ابو حامد محمد بن محمد الغزالي
الحمد لله الذي يحمد بفتح كل رسالة ومقاله والصلوة على محمد
المصطفى صاحب النبوة والرسالة وعلى اله واصحابه الهادين
من الضلالة اما بعد فقد سالتني ايها الاخ في الدين
ابقك الله غاية العلوم واسرارها وغايلة المذاهب
واغوارها واحلى لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين
اضطراب الفرق مع تباين المسالك والطرق وما استجرات
عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد الى يفاع الاستبصار
وما استعدته اولا من علم الكلام وما اجتويته ثانيا من
طرق اهل التعليم القاصرة ادراك الحق على تقليد الامام وما اتدرعته
بالثامن من طرق التفلسف وما ارتضيته اخيرا من طريقة التصوف
وما تجلى لي في تضاعيف تفتيشي عن اقاويل الخلق من
لباب الحق وما صرفني عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة
وما دعاني الى معاودته بنيسابور بعد طول المدى فاستدر
لاجابتك الى مطلبك بعد الوقوف على صدق رغبتك وما
مستعينا بالله ومتوكلا عليه ومستوفقا عنه ومتلجئا
اعلموا احسن الله ارشادكم والان للحق قيادكم
ان اختلاف الخلق في الاديان والملل ثم اختلاف
الامة في المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق حر عميق
غرق فيه الاكثرون وما نجا منه الا القليل وكل فريق يزعم
انه الناجي وكل حزب بما لديهم فرحون وهو الذي وعدنا

سيد المرسلين صلوات الله عليه وهو الصادق المصدوق
حيث قال ستفترق امتي نيفا وسبعين فرقة الناجية
منهم واحدة ٥ وقد كان ما وعد ان يكون ولم ازل في عنفوان
شبابي وريعان عمري منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ
العشر الى الآن وقد ناف السن على الخمسين التحم
لجة هذا البحر العميق واخوض غمرته خوض الجسور لا خوض
الجبان الحذور اتوغل في كل مظلمة واتهجم على كل مشكلة
واقتحم كل وطن واتفحص عن عقيدة كل فرقة واستكشف
اسرار مذهب كل طائفة لاميز بين محق ومبطل ومتسنن
ومبتدع لا اعدو باطنيا الا واحب ان اطلع على طائفته
ولا ظاهريا الا واود ان اعلم حاصل ظواهريته ولا فلسفيا
الا واقصد الوقوف على كنه فلسفته ولا متكلما الا
واجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ولا صوفيا
الا واحرص على العثور على سر صفوته ولا متعبدا
الا وانتهز فرصة ما رجع اليه حاصل عباداته ولا زنديقا معطلا
الا واتحسس وراءه للتنبه لاسباب جرأته في تعطيله
وزندقته وقد كان التعطش الى درك حقائق الامور
دأبي ودأبي من اوائل امري وريعان عمري غريزة وفطرة
من الله تعالى وضعها في جبلتي لا باختياري وحيلتي
حتى انحلت عني رابطة التقليد وانكسرت على العقائد
الموروثة على قرب عهدي بسن الصبي اذ رأيت صبيان النصارى

لا يكون لهم نشوء الا على التنصر وصبيان اليهود لا نشوء لهم الا
على التهود وصبيان المسلمين لا نشوء لهم الا على الاسلام وسمعت
الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد
على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فتحرك
باطني الى طلب حقيقة الفطرة الاصلية وحقيقة العقايد العارضة
بتقليد الوالدين والاستاذ والتمييز بين هذه التقليدات
واوايلها تلقينات وفي تمييز الحق منها عن الباطل اختلافات
فقلت في نفسي اولا انما مطلوبي العلم بحقايق الامور فلابد
من طلب حقيقة العلم ما هي فظهر لي ان العلم اليقيني هو الذي
ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه
امكان الغلط والوهم ولا يتسع القلب لتقدير ذلك بل الامان
من الخطا ينبغي ان يكون مقارنا لليقين مقارنة لو تحدى باظهار
بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهبا والعصا ثعبانا لم يورث
ذلك شكا وامكانا فاني اذا علمت ان العشرة اكثر من الثلثة
فلو قال لي ما يدل الثلثة اكثر بدليل اني اقلب هذا العصا ثعبانا
وقلبها وشاهدت ذلك منه لم اشك بسببه في معرفتي
وانما حصل لي الا التعجب من كيفية قدرته عليه فاما الشك
فيما علمته فلا ثم علمت ان كل ما لا اعلم على هذا الوجه ولا اتيقنه
هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به ولا امان معه وكل علم
لا امان معه فليس بعلم يقيني فالقول في علم الامان
ويحد العلوم ثم فتشت عن علومي فوجدت فيها
عالية عن علم موصوف بهذه الصفة الا في الحسيات والضروريات

فقلت الآن بعد حصول اليأس لا مطمع في الاقتباس للمشكلات الا من
البديهيات وهي الحسيات والضروريات فلابد من رجوعها اولا الى تفتيش
اعم من جنس امانى الذي كان من قبل في المقدمات وهو جنس
الامان اكثر الخلق في النظريات ام هو امان محقق لا غرور فيه
ولا غائلة له فاقبلت بجد بليغ اتامل في المحسوسات والضروريات
وانظر هل يمكنني ان اشكك نفسي فيها فانتهى بي طول
التشكيك الى ان لم تسمح نفسي بتسليم الامان في المحسوسات
ايضا واخذ يتسع للشك فيها ويقول من ايز الثقة
بالمحسوسات واقواها حاسة البصر وهي تنظر الى الظل
فتراه واقفا غير متحرك وتحكم بنفي الحركة ثم التجربة والمشاهدة
بعد ساعة تعرف انه يتحرك وانه لم يحرك دفعة بغتة
بل على التدريج ذرة ذرة حتى لم يكن له حالة وقوف فتنظر الى
الكوكب فتراه صغيرا في مقدار دينار ثم الادلة الهندسية
تدل على انه اكبر من الارض في المقدار هذا وامثاله من المحسوسات
حكم فيها الحس باحكام ويكذب به حاكم العقل وبحكمه
تكذيبا لا سبيل الى دفعه فقلت قد بطلت الثقة
بالمحسوسات ايضا فلعله لا ثقة الا بالعقليات التي هي
من الاوليات كقولنا العشرة اكثر من الثلثة والنفي والاثبات
لا يجتمعان في الشيء الواحد والشيء الواحد لا يكون حادثا قديما
موجودا معدوما واجبا محالا فعالت المحسوسات بأسرها
ان يكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات وقد كنت
واثقا بي فجاء حاكم العقل فكذبني ولولا حاكم العقل لكنت
تحكم على تصديقي

فلعل ورا ادراك العقل حاكم اخر اذا تجلى كذب العقل في
حكمه كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه وعلم تجلي
ذلك الادراك لا دليل على استحالته فتوقفت النفس في جواب
ذلك قليلا وايدت اشكالها بالمنام وقال اما ترى انك تعتقد
في النوم امورا وتخيل احوالا وتعتقدها ثباتا واستقرارا
ولا تشك في تلك الحالة فيها ثم تستيقظ فتعلم انه لم يكن
لجميع متخيلاتك ومعتقداتك اصل وطايل فيم تأمن
ان يكون جميع ما تعتقده في يقظتك بحس او عقل موثق
بالاضافة الى حالتك لكن يمكن ان يطرا عليك حالة يكون نسبتها
الى يقظتك كنسبة يقظتك الى منامك ويكون يقظتك
نوما بالاضافة اليه فاذا اوردت تلك الحالة عليك ان جميع
ما توهمت بعقلك خيالات لا حاصل لها ولعل تلك الحالة
ما يدعيه الصوفية انها حالتهم اذ يزعمون انهم شاهدوا
في احوالهم التي لهم اذ غاصوا في انفسهم وغابوا عن حواسهم
احوالا لا توافق هذه المعقولات او لعل تلك الحالة هي الموت
اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا
فلعل حين الدنيا بالاضافة الى الاخرة فاذا مات ظهرت له
الاشياء على خلاف ما شاهد الان ويقال له عند ذلك فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فلما خطرت لي هذه
الخواطر اقدحت في النفس فحاولت لذلك علاجا فلم يتيسر
اذ لم يمكن دفعه الا بدليل ولم يمكن نصب دليل الا من تركيب
العلوم الحاصلة فاذا لم يكن مسلما لم يمكن بناء الدليل

فاعضل هذا الداء ودام قريبا من عشرين سنة فيها على مذهب
السفسطة بحكم الحال لا بحكم النطق والمقال حتى شفى الله تعالى
عز ذلك المرض وعادت النفس الى الصحة والاعتدال ورجعت
الضروريات العقلية مقبولة موثوقا بها على امن ويقين
ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر
وذلك النور هو مفتاح اكثر المعارف فمن ظن ان الكشف
موقوف على الادلة المحررة فقد ضيق رحمة الله الواسعة
ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرح ومعناه في قوله تعالى
فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام قال هو نور يقذفه
الله في القلب فقيل وما علامته فقال التجافي عن دار الغرور
والانابة الى دار الخلود وهو الذي قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن ذلك النور ينبغي ان
يطلب الكشف وذلك النور يلتمس من الجود الالهي في بعض
الاحايين ويجب الترصد لها كما قال صلى الله عليه ان لربكم في
ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها والمقصود من هذه الحكاية
ان تعلم كمال الجد في الطلب حتى انتهى الى طلب ما لا يطلب
فان الاوليات ليست مطلوبة فانها حاضرة والحاضر اذا
طلب فقد واختفى ومن طلب ما لا يطلب فلا يتهم بالقصور
في طلب ما يطلبه العقلاء من اصناف الطالبين ولما
كفاني الله تعالى هذا المرض بفضله وسعة جوده انحصر
اصناف الطالبين عندي في اربع فرق المتكلمون وهم الذين
ادعوا ان العلم الراسخ والنظر والباطنية وهم الذين يزعمون انهم اصحاب التعليم

والمخصوصون بالاقتباس من الامام المعصوم والفلاسفة
ويزعمون انهم اهل المنطق والبرهان والصوفية ويدّعون
انهم خواص الحضرة واهل المشاهدة والمكاشفة فقلت
في نفسي الحق لا يعدو هذه الاصناف الاربعة فهؤلاء هم
السالكون سبيل طلب الحق فان شذّ الحق عنهم فلا يبقى
في درك الحق مطمع اذ لا مطمع في الرجوع الى التقليد بعد
مفارقته اذ من شرط المقلِّد ان لا يعلم انه مقلِّد فاذا علم
ذلك انكسرت زجاجة تقليده وهو شعبٌ لا يرأب وشعثٌ
لا يلمّ بالتلفيق والتأليف الا ان يذاب بالنار ويستأنف
لها صنعة اخرى مستجدّة فابتدرت لسلوك هذه الطرق
واستقصاء ما عند هذه الفرق مبتدئا بعلم الكلام ومثنيا
بطريق الفلسفة ومثلثا بتعليمات الباطنية ومربّعا
بطريقة الصوفية في العلوم في بيان مقصود علم الكلام وحاصله

ثم اني ابتدأت بعلم الكلام فحصّلته وعلّقته وطالعت كتب
المحققين منهم وصنّفت فيه ما اردت ان اصنف فصار فقه
علما وافيا بمقصود غيري وانا مقصودي
حفظ عقيدة اهل السنة على اهل السنة وحراستها
عن تشويش اهل البدعة فقد القى الله سبحانه وتعالى الى عباده
على لسان رسوله عقيدة هي الحق على ما هي صلاح دينهم
ودنياهم كما نطق به مفرّقا القرآن والاخبار ثم القى
الشيطان في وساوس المبتدعة امورا مخالفة للسنة

فلجوا بها وكادوا يشوّشون عقيدة الحق على اهلها فانشأ
الله تعالى طايفة المتكلمين وحرّك دواعيهم لنصرة السنة
بكلام مرتّب يكشف عن تلبيسات اهل البدع المحدثة على
خلاف السنة الماثورة فمنه نشأ علم الكلام واهله
ولقد قام طائفة منهم بما ندبهم الله له فاحسنوا الذب
عن السنة والنضال عن العقيدة المتلقاة بالقبول
من النبوة والتغيير في وجه ما احدث من البدعة
ولكنهم اعتمدوا في ذلك على مقدمات تسلموها من
خصومهم اضطرهم الى تسليمها اما التقليد او اجماع
الامة او مجرّد القبول من القرآن والاخبار وكان
اكثر خوضهم في استخراج مناقضات الخصوم ومواخذتهم
بلوازم مسلماتهم وهذا قليل النفع في حق من لا يسلّم
سوى الضروريات شيئا اصلا فلم تكن الكلام في حقي
كافيا ولا لدائي الذي كنت اشكو شافيا نعم لما تشاغل
صنعة الكلام وكثر الخوض فيه وطالت المدة تشوف
المتكلمون الى محاولة الذب عن السنة بالبحث عن
حقايق الامور وخاضوا في البحث عن الجواهر والاعراض
واحكامها ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم لم يبلغ
كلامهم فيه الغاية القصوى فلم يحصل منه ما يحقق
بالكلية طلبات الحيرة في اختلافات الخلق ولا البعد
ان يكون قد حصل ذلك لغيري ولست اشك في حصول
ذلك لطايفة

ولكن حصولا مشوبا بالتقليد في بعض الامور التي ليست
من الاوليات والغرض الان حكاية حالي لا الانكار على من
استشفى به فان ادوية الشفا تختلف باختلاف الداء
وكم من دوا ينتفع به مريض ويستضر به آخر ٥
القول في حاصل الفلسفة وما يلزم منها وما لا يلزم
وما يكفر فيه قائله وما لا يكفر ولكن يبدع فيه ويبان ما سرقوه من
كلام اهل الحق ومزجوه بكلامهم لتروج باطلهم في درج ذلك
وكيفية حصول نفرة النفوس من ذلك الحق وكيفية استخلاص
الحق الخالص من الزيف والمزج من جملة كلامهم ٥ ثم اني ابتدأت
بعد الفراغ من علم الكلام بعلم الفلسفة وعلمت يقينا انه لا يقف
على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى
يساوي العلميهم في اصل العلم ثم يزيد عليه ويجاوز درجته فيطلع
على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغايلة فاذ ذاك
يمكن ان يكون يدعيه من فساد حقا ولم ار احدا من علماء الاسلام
صرف عنايته الى ذلك ولم يكن في كتب المتكلمين من كلامهم
حيث اشتغلوا بالرد عليهم الا كلمات محققة مبددة
لما هم التناقض والفساد لا يظن الاغترار بها العاقل عاقل
فضلا عمن يدعي دقايق العلوم فعلمت ان رد المذهب
قبل فهمه والاطلاع على كنهه رمي في عماية فتشمر من عمر
بساق الجد في تحصيل ذلك العلم من الكتب بمجرد المطالعة مرتبا
استعانة باستاذ ومعلم واقبلت على ذلك في اوقات

فراغي من التدريس والتصنيف في العلوم الشرعية وانا ممنو
بالتدريس والافادة لقلتمايه تغرم الطلبة ببغداذ فاطلعني
الله تعالى بمجرد المطالعة في هذه الاوقات المختلسة على
منتهى علومهم في اقل من سنتين ثم لم ازل اواظب على التفكر
فيه بعد فهمه قريبا من سنة اعاوده واردده واتفقد
غوايله واغواره حتى اطلعت على ما فيه من خداع وتلبيس
وتحقيق وتخييل اطلاعا لم اشك فيه فاسمع الان حكايته
وحكايه حاصل علومهم فاني رايتهم اصنافا وورائت علومهم
اقساما وهم على كثرة اصنافهم يلزمهم وصمة الكفر والالحاد
وان كان بين القدماء منهم والاقدمين وبين الاواخر منهم والاوايل
تفاوت عظيم في البعد عن الحق والقرب منه فصل
في اصنافهم وشمول سمة الكفر كافتهم ٥ اعلم انهم على
كثرة فرقهم واختلاف مذاهبهم ينقسمون الى ثلثة اقسام
الدهريون والطبيعيون والالهيون الصنف الاول الدهريون
وهم طايفة من الاقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القادر
وزعموا ان العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه لا بصانع
ولم يزل الحيوان من نطفة والنطفة من حيوان كذلك كان
وكذلك يكون ابدا وموالهم الزنادقة ٥ الصنف الثاني
الطبيعيون وهم قوم اكثروا بحثهم عن علم الطبيعة وعن
عجايب الحيوان والنبات واكثروا الخوض في علم تشريح اعضاء
الحيوانات فراوا فيها من عجايب صنع الله وبدايع حكمته
ما اضطروا معه الى الاعتراف بفاطر حكيم مطلع على

غايات الامور ومقاصدها ولا يطالع التشريح وعجايب منافع
الاعضاء مطالع الا وحصل له هذا العلم الضروري بكمال تدبير الباني
لبنية الحيوان لاسيما بنية الانسان الا ان هولا الكثرة يحتجبون عن
الطبيعة ظهر عندهم لاعتدال المزاج تاثير عظيم في قوام
قوى الحيوان به فظنوا ان القوى العاقلة من الانسان تابعة لمزاجه
ايضا وانها تبطل ببطلان مزاجه فبتعلم ثم اذ التعلم فلا يعقل
اعادة المعدوم كما زعموا فذهبوا الى ان النفس تموت ولا تعود
فجحدوا الاخرة وانكروا الجنة والنار والقيامة والحساب ولم يبق
عندهم للطاعة ثواب ولا للمعصية عقاب فانحل عنهم اللجام
وانهمكوا في الشهوات انهماك الانعام وهولا ايضا زنادقة
لان اصل الايمان هو الايمان بالله واليوم الاخر وهولا جحدوا اليوم الاخر
وان آمنوا بالله تعالى وصفاته ۝ الصنف الثالث الالهيون ۝
وهم المتاخرون منهم مثل سقراط وهو استاذ افلاطون
وافلاطون استاذ ارسطاليس وارسطاليس هو الذي رتب
لهم المنطق وهذب العلوم وحرر لهم ما لم يكن محررا من قبل
وانضج لهم ما كان فجا من علومهم وهم بجملتهم ردوا على الصنفين
الاولين من الدهرية والطبيعية واوردوا في الكشف عن فضائحهم
ما اغنوا به غيرهم وكفاه المؤمنين القتال بتفاصيلهم ثم رد
ارسطاليس على افلاطون وسقراط ومن كان قبله من الالهيين
ردا لم يقصر فيه حتى نبز اسم جميعهم الا انه استبقى الضامن
رذايل كفرهم وبدعتهم بقايا لم يوفق للنزوع منها فوجب
بتكفيرهم وتكفير متبعيهم من متفلسفة الاسلاميين
كابن سينا والفارابي وامثالهم على انه لم ينقل عن
ارسطاليس

احد من متفلسفة الاسلاميين كفيام هذين الرجلين وما
نقله غيرهم ليس يخلو اعن تخبيط وتخليط يتشوش فيه
قلب المطالع حتى لا يفهم وما لا نفهم كيف يرد او يقبل
ومجموع ما صح عندنا من فلسفة ارسطاليس بحسب نقل
هذين الرجلين ينحصر في اقسام قسم يجب التكفير به ۝
وقسم يجب التبديع به ۝ وقسم لا يجب انكاره اصلا فلنفصله ۝
فصل في اقسام علومهم ۝ اعلم ان علومهم بالنسبة
الى الغرض الذي نطلبه ستة اقسام رياضية ۝ ومنطقية ۝
وطبيعية ۝ والهية ۝ وسياسية ۝ وخلقية ۝ اما الرياضية
فتتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم وليس يتعلق
منه شيء بالامور الدينية نفيا واثباتا بل هي امور هاتية
لا سبيل الى مجادلتها بعد فهمها ومعرفتها وقد تولد
منها اقنان احدهما ان من ينظر فيها فيتعجب من
دقائقها ومن ظهور براهينها فيحسن بسببه ذلك
اعتقاد في الفلاسفة فيحسب ان جميع علومهم في
الوضوح وقوة البرهان كهذا العلم ثم يكون قد سمع من كفرهم
وتعطيلهم وتهافتهم بما شرع ما تداولته الالسن فيكفر
بالتقليد المحض ويقول لو كان الامر حقا لما اختفى علمه ولا
مع تدقيقهم في هذا العلم فاذا عرف بالتسامع كفرهم وتحمقهم
فذلك على ان الحق هو الجحد والانكار للدين وكم رايت ممن
ضل عن الحق بهذا القدر ولا مستند له سواه واذا قيل له
الحاذق في صناعة واحدة ليس يلزم ان يكون حاذقا
في كل صناعة فلا يلزم ان يكون الحاذق في الفقه والكلام حاذقا في الطب

ولا ان يكون الحامل بالعقليات جاهلا بالتحويل لكل صناعة اهل
بلغوا فيها رتبة البراعة والسبق وان كان الحمق والجهل قد يلزمهم
في غيرها فكلام الاوائل في الرياضيات البرهانية وفي الالهيات
تحميقية لا يعرف ذلك الا من جربه وخاض فيه فهذا اذا
قرر على هذا الذي الحد بالقطيع لم يقع منه موقع القبول
بل يحمله عليه الهوى وشهوة البطالة وحب التكايس على ان
يصر على تحسين الظن بهم في العلوم كلها فهذه آفة عظيمة
لاحظها يجب زجر كل من يخوض في تلك العلوم فانها وان لم تعلق
بامر الدين ولكن لما كانت من مبادي علوم هي سزي اليها شرهم
وشومهم فقل من يخوض فيه الا ويتخلع من الدين ويتحل عن ربقة
لجام التقوى ٥ الآفة الثانية تشأ من صدور الاسلام
جاهل ظن ان الذي ينبغي ان ينصر بانكار كل علم منسوب اليهم
فانكر جميع علومهم وادعى جهلهم فيها حتى انكر قولهم في الخسوف
والكسوف وزعم انهما قالوه على خلاف الشرع فلما قرع ذلك
سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع لم يشك في بطلانه لكن
اعتقد ان الاسلام مبني على الجهل وانكار البرهان القاطع
فازداد للفلسفة حبا وللاسلام بغضا ولقد عظم
على الدين بجهله من ظن ان الاسلام ينصر بانكار هذه العلوم
وليس في الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفي والاثبات ولا في
هذه العلوم تعرض للامور الدينية وقوله صلى الله عليه وسلم ان الشمس
والقمر لا يخسفان لموت احد ولا لحيوته
فاذا رايتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله تعالى ليس في هذا ما يوجب
انكار علم الحساب المعرف لمسير الشمس والقمر واجتماعهما او

مقابلتهما على وجه مخصوص واما قوله ولكن الله اذا تجلى لشيء
خضع له فليس توجد هذه الرياضة في الصحاح اصلا هذا كله
الرياضيات واقتطع ٥ اما المنطقيات فلا يتعلق منها
شيء بالدين نفيا واثباتا بل هو نظر في طرق الادلة والمقاييس
وشروط مقدمات البرهان وكيفية تركيبها وشرط الحد الصحيح
وكيفية ترتيبها وان العلم اما تصور وسبيل معرفة الحد
واما تصديق وسبيل معرفة البرهان وليس في هذا ما ينبغي ان
ينكر بل هو من جنس ما ذكره المتكلمون واهل النظر في الادلة
انما يفارقونهم في العبارات والاصطلاحات وزيادة الاستقصاء
في التفريعات والتشعيبات وفضائل كلامهم فيه قولهم
اذا ثبت ان كل الف باء لزم ان بعض باء الف اي اذا ثبت
ان كل انسان حيوان لزم ان بعض الحيوان انسان ويعبرون
عن هذا بان الموجبة الكلية تنعكس موجبة جزوية واي
تعلق لهذا بهمات الدين حتى تجحد وتنكر واذا انكر لم يحصل
من انكاره عند اهل المنطق الا سوء الاعتقاد في عقل المنكر
بل في دينه الذي زعم انه موقوف على مثل هذا الانكار نعم لهم
نوع من النظر في هذا العلم وهو انهم يحصون للبرهان شروطا ثم
انه يورث اليقين لا محالة لكنهم عند الانتهاء الى المقاصد الدينية
ما املكنهم الوفاء بتلك الشروط بل تساهلوا بغاية التساهل
وربما ينظر في المنطق ايضا من يستحسنه ويراه واضحا فيظن
ان ينقل عنهم من الكفريات موبقة مثل تلك البراهين والتعجل
بالكفر قبل الانتهاء الى العلوم الالهية فهذه الآفة ايضا منغرقة
اليه ٥ واما الطبيعيات فهو بحث عن اجسام العالم السموات
وما فيها

www.alukah.net

وما تحتها من الاجسام المفردة كالماء والهواء والتراب والنار ٥
ومن الاجسام المركبة كالحيوان والنبات والمعادن وعن اسباب
تغيرها واستحالتها وامتزاجها وذلك يضاهي بحث الطبيب
عن جسم الانسان واعضائه الرئيسة والخادمة واسباب استحالته
مزاجها وكالبيس من شرط الذب انكار علم الطب فليس من شرطه ايضا
انكار ذلك العلم الا في مسايل معينة ذكرناها في كتاب تهافت
الفلسفة وما عدا ذلك مما يجب المخالفة فيها فعند التامل يتبين انها
مندرجة تحتها واصل جملتها ان تعلم ان الطبيعة مسخرة لله تعالى
لا تعمل
لا تعلم بنفسها بل هي مستعملة من جهة فاطرها فالشمس والقمر
والنجوم والطبايع مسخرات بامره لا تفعل شيئا منها بذاتها عز ذاته ٥
واما الالهيات ففيها اكثر اغاليطهم فما قدروا على الوفاء
بالبراهين على ما شرطوه في المنطق ولذلك كثر الاختلاف بينهم
فيه ولقد قرب ارسطاليس مذهبه فيها من مذاهب الاسلاميين على ما
نقله الفارابي وابن سينا ولكن مجموع ما غلطوا فيه يرجع الى عشرين
اصلا يجب تكفيرهم في ثلثة منها ويبدعهم في سبعة عشر ولابطال
مذهبهم في هذه المسايل العشرين صنفنا كتاب التهافت ٥ اما
المسايل الثلثة فقد خالفوا فيها كافة الاسلاميين وذلك في قولهم
ان الاجساد لا تحشر وانما المثاب والمعاقب هي الارواح المجردة
والعقوبات روحانية لا جسمانية ولقد صدقوا في اثبات
الروحانية فانها كائنة ايضا ولقد كذبوا في انكار الجسمانية
وكفروا بالشريعة فيما نطقوا به ٥ ومن ذلك قولهم ان الله تعالى
يعلم الكليات دون الجزويات وهو ايضا كفر صريح بل الحق انه لا يعزب
عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ٥ ومن ذلك قولهم
بقدم العالم وان لا يعيده فلم يذهب احد من المسلمين الى شيء من هذه المسايل

واما ما وراء ذلك من تقسيمهم الصفات وقولهم انه عالم بالذات
لا بعلم زايد وما جرى مجراه فمذهبهم فيها قريب من مذاهب المعتزلة
ولا يجب تكفير المعتزلة بمثل ذلك وقد ذكرنا ذلك في كتاب فيصل
التفرقة بين الاسلام والزندقة وما تتميز به فساد رايه من يسارع
الى التكفير في كل ما يخالف مذهبه ٥ واما السياسيات فجميع
كلامهم فيها يرجع الى الحكم المصلحية المتعلقة بالامور الدنيوية
والاية السلطانية وانما اخذوها من كتب الله تعالى المنزلة على الانبيا
ومن الحكم المانقول عن سلف الانبيا ٥ واما الخلقيات فجميع كلامهم
فيها يرجع الى جمع صفات النفس واخلاقها وذكر اجناسها وانواعها
وكيفية معالجتها ومجاهدتها وانما اخذوها من كلام الصوفية وهم
المتالهون المتابدون على ذكر الله تعالى وعلى مخالفة الهوى وسلوك الطريق
الى الله تعالى بالاعراض عن ملاذ الدنيا وقد انكشف لهم في مجاهداتهم
من اخلاق النفس وعيوبها وآفات اعمالها ما صرح جواهرها فاخذوها
الفلاسفة ومزجوها بكلامهم توسلا بالتجمل بها الى ترويج باطلهم
ولقد كان في عصرهم بل في كل عصر جماعة من المتالهين لا تخلي الدنيا
العالم عنهم فانهم اوتاد الارض بهم كانهم تزول الرحمة الى اهل الارض كما ورد
في الخبر حيث قال بهم تمطرون وبهم ترزقون ومنهم كان اصحاب الكهف
وكانوا في سالف الازمنة على ما يطابق القرآن فتولد من جملة كلام النبوة
وكلام الصوفية بكليتهم اقتباس افة في حق القايل واقه في حق الراد
اما افة في حق من رد فعظيمة اذ ظنت طايفة من الضعفى
ان ذلك الكلام اذا كان مذكورا في كتبهم ومزوجا باطلهم بغير ان
ينكر ولا يذكر بل سكت على كل من ذكره لانهم انما لم يسمعوا او لا الا
منهم سمعوا العلم الضعيف انه باطل كالان قايله مبطل كالذي
سمع من النصراني لا اله الا الله عيسى رسول الله فيقول ويقول هذا كلام النصارى

ولا يتوقف زيت ما يناقل ان النصراني كافر باعتبار هذا
القول او باعتبار انكاره نبوة محمد صلى الله عليه فان لم يكن كافرا
الا باعتبار انكاره فلا ينبغي ان يخالف في غير ما هو كافر به مما هو
حق في نفسه وان كان ايضا حقا عليه وهذه عادة ضعفي العقول
يعرفون الحق بالرجال لا الرجال بالحق والعاقل يقتدي بسيد
العقلاء علي رضي الله عنه حيث قال لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق
تعرف اهله فالعاقل يعرف الحق ثم ينظر في نفس القول فان كان
حقا قبله سواء كان قايله مبطلا او محقا بل ربما حرص على
انتزاع الحق من تضاعيف كلام اهل الضلال عالما بان معدن الذهب
الرغام ولا باس على الصراف ان ادخل يده في كيس القلاب وانتزع
الابريز الخالص من الزيف والبهرج مهما كان واثقا ببصيرته
فانما يزجر عن معاملة القلاب القروي دون الصيرفي ومنع من
ساحل البحر الاخرق دون السباح الحاذق ويصد عن مس الحية
الصبي دون المعلم البارع ولعمري لما غلب على اكثر الخلق ظنهم
بانفسهم الحذاقة والبراعة وكمال العقل والاناة في تمييز الحق
عن الضلالة وجب حسم الباب في زجر الكافة عن مطالعة
كتب اهل الضلال ما امكن اذ لا يسلمون عن الافة الثانية
التي سنذكرها اصلا وان سلموا عن هذه الافة التي ذكرناها
ولقد اعترض على بعض الكلمات المبثوثة في تصانيفنا في ابراز
علوم الدين طائفة من الذين يستحكم في العلوم مرارهم ولم يسفح
الى اقصى غايات المذاهب بصايرهم وزعم ان تلك الكلمات عن
كلام الاوايل مع ان بعضها من موردات الخواطر ولا يبعد ان يقع
الحافر على الحافر وبعضها يوجد في الكتب الشريفة والكل موجود
معناها في كتب الصوفية وهب انها لم توجد الا في كتبهم فاذا

كان ذلك الكلام معقولا في نفسه موبدا بالبرهان ولم يكن
على مخالفة الكتاب والسنة فلم ينبغي ان يحجر وينكر فلو فتحنا هذا
الباب ونظرنا ان يحجر كل حق سبق اليه خاطر مبطل للزمنا ان
نحجر كثيرا من الحق وللزمنا ان نحجر جملة من ايات القرآن واخبار
الرسول وحكايات السلف وكلمات الحكماء والصوفية لان
صاحب كتاب اخوان الصفا اورد كما في كتابه مستشهدا بها او مستدرجا
قلوب الحمقى بواسطتها الى باطله وتداعى ذلك الى ان يستخرج
المبطلون الحق من ايدينا بايد اعمهم اياها كتبهم واقل درجة العالم
ان يتميز عن العامي الغمر فلا يعاف العسل وان وجد في مجمعة
الحجام ويحقق ان المجمعة لا تغير ذات العسل وان نفرة الطبع عنه
مبنية على جهل عامي منشؤه ان المجمعة انما صبغت للدم المستقذر
فيظن ان الدم مستقذر لكونه في المجمعة ولا يدري انه مستقذر
لصفة في ذاته فاذا عدمت الصفة فكونه في ظرفه لا يكسبه
تلك الصفة فلا سبيل ان يوجب له الاستقذار وهذا وهم
باطل وهو غالب على اكثر الخلق فمهما نسبت الكلام واسنادته
الى قايل حسن فيه اعتقادهم قبلوه وان كان باطلا وان اسنادته
الى من سا فيه اعتقادهم ردوه وان كان حقا فابدا يعرفون الحق
بالرجال ولا يعرفون الرجال بالحق وهو غاية الضلال هذا آفة الرد
الآفة الثانية آفة القبول فان من نظر في كتبهم كاخوان الصفا
وغيره فرأى طما مزجوه بكلامهم من الحكم النبوية والكلمات الصوفية
ربما استحسنها وقبلها وحسن اعتقاده فيها فتسارع الى
قبول باطلهم الممزوج به بحسن ظن جميل مما راه واستحسنه
وذلك نوع استدراج الى الباطل ولاجل هذه الآفة يجب الزجر

عن مطالعة كتبهم لما فيه من الخطر والغرر وكما يجب صون من لا يحسن
السباحة عن مزالق الشطوط يجب صون الخلق عن مطالعة تلك
الكتب وكما يجب صون الصبيان عن مس الحيات يجب صون الاسماع
عن تخليط تلك الكلمات وكما يجب على المعلم ان لا يمس الحية
بين يدي ولده الطفل اذا علم انه سيقتدي به ويظن انه مثله يجب
عليه ان يحذره منه بان يحذر روحي في نفسه بين يديه فكذلك يجب
على العالم الراسخ مثله وكما ان المعلم الحاذق اذا اخذ الحية وميز
بين الترياق والسم فاستخرج منه الترياق وابطل السم فليس له ان
يشح بالترياق على المحتاج اليه وكذلك الصراف الناقد البصير اذا ادخل
يده في كيس القلاب واخرج منه الابريز الخالص وانفسد الزيف
والبهرج فليس له ان يشح بالجيد المرضي على من يحتاج اليه كذلك العالم
وكما ان المحتاج الى الترياق اذا اشمأزت نفسه عنه حيث علم انه
مستخرج من الحية التي هي مركز السم والفقير المضطر الى المال اذا نفر
عن قبول الذهب المستخرج من كيس القلاب وجب تنبيهه على ان
نفرته جهل محض هو بسبب حرمانه عن الفائدة التي هي مطلبه وحقه
نعم ينبغي ان لا يقرب الجواب بين الزيف والجيد لا بجعل الجيد زيفا كما لا
يجعل الزيف جيدا فكذلك قرب الجواد بين الحق والباطل لا بجعل الحق
باطلا كما لا يجعل الباطل حقا فهذا مقدار ما اردنا ذكره من آفة الفلسفة وعائلتها
القول في مذهب التعليم وعائلته ○ ثم اني لما فرغت من علم الفلسفة
وتحصيله وتفهمه وترتيب ما يزيف منه علمت ان ذلك ايضا
غير وافي بكمال الغرض وان العقل ليس مستقلا بالاحاطة بجميع
المطالب ولا شافيا للغلة عن جميع المضلات وكان قد تبعت
نابغة التعليمية وشاع بين الخلق تحدثهم بمعرفة الامور من جهة الامام
المعصوم

القائم بالحق عز وجل وان البحث عن مقالتهم لا اطلع على فساد في كلامهم ثم اتفق
ان ورد علي امر جازم من حضرة الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن
حقيقة مذهبهم فلم يسعني مدافعته وصار ذلك متحتما من خارج
ضميمة للباعث الاصلي من الباطن فانتدبت لطلب كتبهم وجمع مقالاتهم
وكان قد بلغني بعض كلماتهم المستحدثة التي ولدتها خواطر اهل العصر
لا على المنهاج المعهود من سلفهم فجمعت تلك الكلمات وترتقبتها ترتيبا
محكما معدا للتحقيق واستوفيت الجواب عنه حتى انكر بعض اهل الحق
مبالغتي في تقرير حجتهم وقال هذا سعي لهم فانهم كانوا يعجزون عن نصر
مذهبهم بمثل هذه التشهيات لولا تحقيقك لها وترتيبك اياها وهذا
الانكار من وجه حق فلقد انكر احمد بن حنبل على الحارث المحاسبي رحمهما الله
تصنيفه في الرد على المعتزلة فقال الحرف الرد على البدعة فرض فقال احمد
نعم ولكن حكيت شبههم اولا ثم اجبت عنه فيهم ثما من ان يطالع الشبهة
من يعلق ذلك بفهمه ولا يلتفت الى الجواب او ينظر في الجواب ولا
يفهم كنهه وما ذكر احمد حق ولكن في شبهة لم تنتشر ولم تشتهر
اما اذا انتشرت فالجواب عنها واجب ولا يمكن الجواب الا بعد الحكاية
نعم ينبغي ان لا تكلف شبهة لم تتكلف ولم انكلف انا ذلك بل
كنت قد سمعت تلك الشبهة من واحد من اصحاب المخانيث الذين يعتقد
ان كلام الحق يهم وانتحل مذهبهم وحكى انهم يعتمدون على تصانيف الشيخ
في الرد عليهم فانهم لم يفهموا بعد حجتهم ثم ذكر تلك الحجة وحكاها عنهم
فلم ارض لنفسي ان يظن بي الغفلة عن اصل حجتهم فلذلك اوردتها ولا
ان يظن بي اني ان سمعتها فلم افهمها فلذلك قررتها والمقصود اني
قررت شبههم الى اقصى الامكان ثم اظهرت فسادها والحاصل
انه لا حاصل عندهم ولا طايل بكلامهم ولولا سوء فهم الصديق الجاهل
لما اثبتت تلك البدعة مع ضعفها الى هذه الدرجة لكن لشدة التعصب

www.alukah.net

دعى الذاب عن الحق الى تطويل النزاع معهم في مقدمات كلامهم والى
مجاحدتهم في كل ما نطقوا به فجاحدهم في دعواهم الحاجة الى التعلم
والى المعلم وفي دعواهم انه لا يصلح كل معلم بل لا بد من معلم معصوم وظهرت
حجتهم في اظهار الحاجة الى التعلم والى المعلم وضعف قول المنكر في مقابلته
فاعتبر بذلك جماعة وظنوا ان ذلك مزقوة مذاهبهم وضعف المذاهب
المخالف له ولم يفهموا ان ذلك لضعف ناصر الحق وجهله بطريقه بل
الصواب الاعتراف بالحاجة الى معلم وانه لا بد وان يكون المعلم معصوما
وليكن معلمنا المعصوم محمدا صلى الله عليه وسلم فاذا قالوا اموميت فقول
ومعلمكم غلب فاذا قالوا ومعلمنا قد علم الدعاة وبثهم في البلاد ومر
بنتظر مراجعتهم ان اختلفوا او اشكل عليهم مشكل فنقول ومعلمنا
قد علم الدعاة وبثهم في البلاد واكمل التعليم اذ قال اليوم اكملت لكم دينكم
وبعد كمال التعليم لا يضر موت المعلم كما لا يضر غيبته يبقى انهم كيف
يحكمون فيما لم يسمعوه أبالنص ولم يسمعوه ام بالاجتهاد بالراى وهو مظنة
الخلاف فنقول نعلم ما فعله معاذ اذ بعثه رسول الله صلى الله عليه
الى اليمن انه يحكم بالنص عند وجوده وبالاجتهاد عند عدمه بل كما نفعله
دعاتهم اذ ابعد واعز الامام الى اقاصي الشرق اذ لا يمكنه ان يحكم بالنص
فان النصوص المتناهية لا تستوفي الوقايع غير المتناهية ولا يمكنه
الرجوع في كل واقعة الى بلد الامام والى ان يقطع المسافة ويرجع ويكون
المستفتي قد مات وفات الانتفاع بالرجوع فمن اشكل عليه القبلة
ليس له طريق الا ان يصلي باجتهاده اذ لو سافر الى بلد الامام ليعرفه القبلة
تفوت وقت الصلوة فان جاز ت الصلوة الى غير القبلة بناء على
الظن وقال ان المخطي في الاجتهاد له اجر واحد والمصيب اجران
وذلك في جميع المجتهدات وكذلك امير يصرف الرعية الى الفقير وربما
يسمه فقيرا باجتهاد وهو غني واخذا باجتهاده ماله ولا يكون مواخذا به

واعران

فان قال ظن مخالفه كظنه فاقول هو مامور باتباع ظن نفسه
كالمجتهد في القبلة يتبع ظنه وان خالفه غيره فان قال فالمقلد
يتبع الشافعي او ابا حنيفة او غيرهما فاقول والمقلد في القبلة عند
الاشتباه اذا اختلف عليه المجتهدون كيف يصنع فسيقول
له مع نفسه اجتهاد في معرفة الافضل الاعلم بدلالة القبلة فسمع ذلك
الاجتهاد فكذلك في المذاهب ورد الخلق الى الاجتهاد ضرورة الا ببيا
والائمة مع العلم بانهم قد يخطيون بل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا احكم
بالظاهر والله يتولى السرائر اي انا احكم بغالب الظن الحاصل من قول الشهود
وربما اخطأ فيه فلا سبيل الى الامن من الخطأ للانبيا في مثل هذه المجتهدات
فكيف يطمع في ذلك ولم يامنا سوا الا احدهما فقولهم هذا واضح
في المجتهدات فلا يصح في قواعد العقائد اذ المخطي فيه غير معذور
فكيف السبيل اليه فاقول قواعد العقائد تشتمل عليها الكتاب
والسنة فما ورا ذلك من التفصيل المتنازع فيه تعرف الحق فيه بالوزن
بالقسطاس المستقيم وهو الموازين التي ذكرها الله تعالى في كتابه وهي محنة
ذكرتها في كتاب القسطاس المستقيم فان قال خصومك يخالفون
في ذلك الميزان فاقول لا تصور ان يفهم ذلك الميزان ثم يخالف فيه
اذ لا مخالف فيه اهل التعليم لانه استخرجته من القرآن وتعلمته منه
ولا مخالف فيه اهل المنطق لانه موافق لما شرطوه في المنطق غير مخالف له
ولا مخالف فيه المتكلم لانه موافق فيما ذكره في ادلة النظريات وبه
تعرف الحق في الكلاميات فان قال فان كان في يدك مثل هذا الميزان
فلم لا ترفع الخلاف بين الخلق فاقول لو اصغوا الي لرفعت الخلاف بينهم
وذكرت طريق رفع الخلاف في كتاب القسطاس المستقيم فتأمله لتعلم
انه حق وانه يرفع الخلاف قطعا لو اصغوا ولا يصغون باجمعهم بل اصغى
الي طائفة فرفعت الخلاف بينهم واما مك يريد رفع الخلاف بينهم
مع علم اصغائهم فلم يرفع الى الآن ولم يرفع علي رضي الله عنه وهو رأس الائمة

او تدعي انه يقدر على حمل كافتهم على الاصغاء لها فلم لم تحملهم
الى الان ولاي يوم اجلت هل حصل بين الخلق بسبب دعوته الا
زيادة خلاف وزياد مخالف نعم كان يحشى من الخلاف نوع
من الضرر لا ينتهي الى سفك الدماء وتخريب البلاد وايتام الاولاد
وقطع الطرق والاعتداء على الاموال وقد حدث في العالم من ذلك
رفع الخلاف من الخلاف ما لم يكن بمثله عهد فان قال اذا عينت
انت رفع الخلاف بين الخلق ولكن المتحير بين المذاهب
المتعارضة والاختلافات المتقابلة لم يلزمه الاصغاء
اليك دون خصمك وذلك خصوم يخالفونك ولا فرق
بينك وبينهم وهذا هو السؤال الثاني فاقول
هذا القول ينقلب عليك فانك اذا دعوت هذا
المتحير الى نفسك فيقول المتحير لم صرت اولى من يخالفك
واكثر اهل العالم يخالفونك فليت شعري بماذا تجيب اتجيبه
بان تقول انا نبي منصوص عليه فمتى يصدقك في دعوى النص وهو لم
يسمع النص من الرسول وانما سمع دعواك ومع تطابق اهل العالم
على اختراعك وتكذيبك ثم مهب انه سلم ذلك النص فاذا
كان معجزا في اصل النبوة فما الذي يدل على ان معجزة عيسى عليه السلام
فيقول الدليل على صدقي اني احيي اباك فاحياه فنا طفني بانه
محق فماذا اعلم صدقه ولم يعلم كافة الخلق صدق عيسى بمن
المعجزة بل عليه من الاسولة المشكلة ما لا يدفع الا بدقيق النظر
العقلي والنظر العقلي لا يوثق به عندك ولا يعرف دلالة
المعجز على الصدق ما لم يعرف السحر والتمييز بينه وبينه
وما لم يعرف ان الله لا يضل عباده وسوال الاضلال عسر الجواب عنه
مشهور فماذا ينفع جميع ذلك ومم يكون امامك اولى بالمتابعة من

فسيرجع الى الادلة النظرية التي ذكرناها وخصمه يدلي بمثل
تلك الادلة واوضح منها وهذا السوال قد انقلب عليه انقلابا عظيما
لو اجتمع اولهم واخرهم على ان يخبروا عنه جوابا لم يقدروا عليه وانما
نشا الفساد من جماعة من الضعفة ناظروهم فلم يشتغلوا بالقلب
بل بالجواب وذلك مما يطول فيه الكلام ولا يسبق سريعا الى الافهام
فلا يصلح للاقحام فان قال فاذكر لي فهذا هو القلب فهل عنه جواب فاقول نعم
جوابه ان المتحير ان قال انا متحير ولم يعين المسالة التي هو متحير فيها فيقال
له انت كمن يقول انا مريض ولا يذكر غير من مرضه ويطلب علاجه فيقال له
ليس في الوجود علاج للمرض المطلق بل لمرض معين من صداع او اسهال
او غيره وكذلك المتحير ينبغي ان يعين ما هو متحير فيه فان عين المسالة
عرفته الحق فيها بالموازين الخمسة التي لا يفهمها احد الا ويعترف
بانه الميزان الحق الذي يوثق بكل ما يوزن به ففهم الميزان يفهم منه ايضا
صحة الوزن كما يفهم متعلم علم الحساب بقسم الحساب وكون الحاسب
المعلم عالما بالحساب وصادقا فيه وقد اوضحت ذلك في كتاب القسطاس
في مقدار عشر ورقة فليتامل وليس المقصود الآن بيان فساد
مذهبهم فقد ذكرت ذلك في كتاب المستظهري اولا وفي كتاب حجة
الحق ثانيا وهو جواب كلام لم عرض على ببغداذ وفي كتاب مفصل
الخلاف الذي هو اثنا عشر فصلا بالثنا وهو جواب كلام عرض علي
بهمذان وفي جواب الدرج المرقوم بالجد اولا رابعا وهو من
ركيك كلامهم الذي عرض علي بطوس وفي كتاب القسطاس
خامسا وهو كتاب مستقل مقصوده بيان ميزان العلوم واظهار
الاستغناء عن الامام لمن احاط به بل المقصود ان هو لا ليس
معهم شئ من الشفاء المنجي من ظلمات الاباطيل مع عجزهم عن
اقامة البرهان على تعيين الامام طالبوا جر بنا هم قصدنا هم في الحاجة
الى التعليم والى المعلم المعصوم والله الذي عينوه ثم سالناهم عن العلم

الذى تعلموه من هذا المعصوم وعرضنا عليهم اشكالاته فلم
يفهموها فضلا عن القيام بحلها فلما عجزوا احالوا على الامام الغائب
وقالوا انه لابد من السفر اليه والتعجب انهم ضيعوا اعمارهم فى طلب العلم
وفى التبحر بالظفر به ولم يتعلموا منه شيأ اصلا كالمضيع بالتجاسه شعب
فى طلب الماحتى اذا وجده تعذر عليه وبقى مضيعا باخباث ومنهم من ادعى
شيأ من علمهم وكان حاصل ما ذكره شيأ من زكك فلسفة فيثاغورس
وهو رجل من قدماء الاوائل ومذهبه ادراك مذاهب الفلاسفة وقد
رد عليه رسطاليس بل استدرك كلامه واستزله وهو الحكى فى كتاب
اخوان الصفا وهو على التحقيق حشو الفلسفة فالعجب ممن يتعب طول العمر
فى طلب العلم ثم يقنع بمثل ذلك العلم الركيك المستغث وبظن انه ظفر
باقصى مقاصد العلوم فهو لا ايضا حرم بنا يم وسبر ناظارهم وباطنهم
فرجع حاصلهم الى استدراج العوام وضعفاء العقول ببيان الحاجة
الى المعلم ومجادلتهم فى انكارهم الحاجة الى التعليم بكلام قوى مفحم حتى
اذا ساعدهم على الحاجة الى المعلم مساعد وقال كاف علمه وافدنا
من تعليمه وقف وقال الآن اذ سلمت لى هذا فاطلبه فانما غرضى
هذا القدر فقط اذ علم انه لو زاد على ذلك لافتضح ولعجز عن جدل
ادنى الاشكالات بل يعجز عن فهمه فضلا عن جوابه وهذا حقيقة
حالهم فاخبرهم تعليم فلما خبرناهم نفضنا اليد عنهم
القول فى طرق الصوفية ثم انى لما فرغت من هذه العلوم
اقبلت بهمتى على طريق الصوفية وعلمت ان طريقهم انما تتم
بعلم وعمل وكان حاصل علمهم قطع عقبات النفس والتنزه عن اخلاقها
المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها الى تخلية القلب عن غير الله
وتحليته بذكر الله وكان العلم ايسر على من العمل فابتدأت بتحصيل
علمهم من مطالعة كتبهم مثل قوت القلوب لابى طالب المكى وكتب
الحرث المحاسبى والمعرفات المأثورة عن جنيد والشبلى وابى يزيد البسطامى

حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية وحصلت ما يمكن ان
يحصل من علومهم من طريق التعلم والسماع وظهر لى ان اخص
خواصهم ما لا يمكن الوصول اليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل
الصفات فكم من الفرق بين ان تعلم حد الصحة وحد الشبع وابابهما
وشروطهما وبين ان تكون صحيحا شبعان وبين ان تعرف حد السكر
وانه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء بخرة تتصاعد من
المعدة على معادن الفكر وبين ان تكون سكران بل السكران لا يعرف
حد السكر وعلمه وهو سكران ما معه من علمه شيء والطبيب يعرف
حد السكر وان كانه وما معه من السكر شيء والطبيب فى حالة المرض
يعرف حد الصحة واسبابها وادويتها وهو فاقد للصحة فكذلك
فرق بين ان يعرف حقيقة الزهد وشروطها واسبابها وبين ان يكون
حالك الزهد وعزوف النفس عن الدنيا فعلمت يقينا انهم ارباب
احوال لا اصحاب اقوال وانما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد
حصلته ولم يبق الا ما لا سبيل اليه بالسماع والتعلم بل بالذوق
والسلوك وكان قد حصل معى من العلوم التى مارستها والمسالك
التى سلكتها فى التفتيش عن صفى العلوم الشرعية والعقلية انى
تقشعت بالله تعالى وباليوم الآخر فهذه الاصول الثلثة
من الايمان كانت قد رسخت فى نفسى لا بدليل معين محرر بل
باسباب وقرائن وتجارب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها
وكان قد ظهر عندى انه لا مطمع فى سعادة الآخرة الا بالتقوى
وكف النفس عن الهوى وان سر ذلك كله قطع علاقة القلب
عن الدنيا بالتجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاقبال
بكنه الهمة على الله تعالى وان ذلك لا يتم الا بالاعراض عن الجاه والمال
والهرب من الشواغل والعلائق ثم لاحظت احوالى فاذا انا منغمس فى
العلائق

وقد اخلقت بي من الجوانب ولاحظت اعمالي واحسنها
التدريس والتعليم واذا انا فيها مقبل على علوم غير مهمة
ولا نافعة في طريق الاخرة ثم تفكرت في نيتي في التدريس فاذا
هي غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعثها ومحركها طلب الجاه
وانتشار الصيت فتيقنت اني على شفا جرف هار وانني
قد اشفيت على النار ان لم اشتغل بتلافي الاحوال فلم ازل
افكر فيه مدة وانا بعد على مقام الاختيار اصمم في العزم على
الخروج من بغداد ومفارقة تلك الاحوال يوما واجمل العزم
يوما واقدم فيه رجلا واؤخر عنه اخرى لا تصدق لي رغبة في
طلب الاخرة بكرة الا وتحمل عليها جنود الشهوة حملة فيغيرها
عشية فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلاسل
الى المقام ومنادي الايمان ينادي الرحيل الرحيل فلم يبق من
العمر الا قليل ويزيد بك السفر الطويل وجميع ما انت فيه
من العلم والعمل رياء وتخييل فان لم تستعد الآن للاخرة فمتى
تستعد وان لم تقطع الآن هذه العلائق فمتى تقطع فعند ذلك
تنبعث الداعية وتجزم العزم على الهرب والفرار ثم يعود
الشيطان ويقول هذه حالة عارضة اياك ان تطاوعها
فانها سريعة الزوال فان اذعنت لها وتركت هذا الجاه
العريض والشان المنظوم الخالي عن التكدير والتنغيص والامر
المسلم الصافي عن منازعة الخصوم وبما التفتت اليه نفسك
ولا يتيسر لك المعاودة فلم ازل اتردد بين تجاذب شهوات
الدنيا ودواعي الاخرة قريبا من سنة اشهر اولها رجب سنة ثمان
وثمانين واربع مايه وفي هذا الشهر جاوز الامر حد الاختيار

الى الاضطرار اذ اقفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس
فكنت اجاهد نفسي ان ادرس يوما واحدا تطييبا لقلوب
المختلفة فكان لا ينطلق لساني بكلمة ولا استطيعها البتة
ثم اورثت هذه العقلة في اللسان حزنا في القلب بطل معه
قوة الهضم وقرم الطعام والشراب فكان لا ينساغ لي شربة
ولا يهضم لي لقمة وتعدى الى ضعف القوى حتى قطع الاطباء
طمعهم عن العلاج وقالوا هذا امر نزل بالقلب ومنه سرى الى
المزاج فلا سبيل اليه بالعلاج الا بان يتروح السر عن الهم
المؤلم ثم لما احسست بعجزي وسقوط بالكلية اضطررت
التجأت الى الله تعالى التجاء المضطر الذي لا حيلة له فاجابني
الذي يجيب المضطر اذا دعاه وسهل علي قلبي الاعراض عن الجاه
والمال والاهل والولد والاصحاب واظهرت امر الخروج الى
مكة وانا اوري في نفسي سفر الشام حذارا من ان يطلع
الخليفة وجملة الاصحاب على عزمي في المقام بالشام فتلطفت
بلطائف الحيل في الخروج من بغداد على عزم ان لا اعاود
ابدا واستهدفت لالسنة اهل العراق كافة اذ لم يكن فيهم من
يجوز ان يكون للاعراض عما كنت فيه سببا دينيا اذ ظنوا ان ذلك
هو المنصب الاعلى في الدين وكان ذلك مبلغهم من العلم ثم ان ذلك
الناس في الاستنباطات وظن من بعد من العراق ان ذلك
كان لاستشعار من جهة الولاة واما من قرب من الولاة
فكان يشاهد الحاجم في التعلق بي والانكار علي واعراضي عنهم
وعن الالتفات الى قولهم فيقولون هذا امر سماوي ليس له سبب

www.alukah.net

الا عين اصابت اهل الاسلام وزمن العلم ففارقت بغداد
وفرقت ما كان معي من مال ولم ادخر الا قدر كفاف وقوت
للاطفال ترخصا بان مال العراق مرصد للمصالح للكونه وقفا
على المسلمين فلم ار في العالم مالا ياخذه العالم لعياله اصلح منه
ثم دخلت الشام واقمت به قريبا من سنتين لا اشتغل
الا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتزكية
النفس وتهذيب الاخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى
كما كنت حصلته من علم الصوفية فكنت اعتكف مدة في مسجد
دمشق اصعد منارة المسجد طول النهار واغلق بابها على نفسي
ثم رحلت منها الى بيت المقدس ادخل كل يوم الصخرة واغلق
بابها على نفسي ثم تحركت في داعية فريضة الحج والاستمداد
من بركات مكة والمدينة قصد زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه فسرت الى الحجاز
ثم جذبتني الهمم ودعوات الاطفال الى الوطن فعاودته
بعد ان كنت ابعد الخلق من الرجوع اليه واثرت العزلة
به ايضا حرصا على الخلوة وتصفية القلب لذكر الله وكانت
حوادث الزمان ومهمات العيال وضرورات المعيشة
تغير في وجه المراد وتشوش صفو الخلوة وكان لا
يصفو الحال الا في اوقات متفرقة لكني مع ذلك لا اقطع
طمعي منها فبذلك عني عنها العوائق واعود اليها ودمت
على ذلك مقدار عشر سنين وانكشف لي في اثنائها من الخلوات
امور لا يمكن احصاؤها واستقصاؤها والقدر الذي اذكر لينتفع به

انى علمت يقينا ان الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة
وان سيرتهم احسن السير وطريقتهم اصوب الطرق واخلاقهم
ازكى الاخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين
على اسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرهم واخلاقهم
ويبدلوها بما هو خير منه لم يجدوا اليه سبيلا فان جميع حركاتهم
وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من مشكاة النبوة
وليس وراء نور النبوة نور على وجه الارض يستضاء به وبالجملة
فماذا يقول القائلون في طريقة طهارتها وهي اول شريطتها
تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ومفتاحها الجاري منها
مجرى التحريم من الصلوة استغراق القلب بذكر الله تعالى وآخرها
الفناء بالكلية في الله تعالى وهذه اخرها بالاضافة الى ما يكاد يدخل
تحت الاختيار والكسب من اوايلها وهي على التحقيق اول
الطريقة وما بعد ذلك كالاشياء السالك اليه من اوائل
الطريقة منتدى المكاشفات والمشاهدات حتى انهم وهم
في يقظتهم تشاهد ارواح الانبياء ويسمعون منهم
اصواتا ويقتبسون منهم فوائد ثم ترقى الحال من مشاهدة الصور
والامثال الى درجات يضيق عنها نطاق النطق فلا يحاول معبر
ان يعبر عنها الا اشتمل لفظه على خطا صريح لا يمكنه الاحتراز
عنه وعلى الجملة ينتهي الامر الى قرب يكاد تضمحل منه طائفة
الحلول وطائفة الاتحاد وطائفة الوصول وكل ذلك خطا
وقد بينا وجه الخطا في كتاب المقصد الاقصى بل الذي زاحمته
تلك الحالة لا ينبغي ان يبدي على لسان مقول ولا يكاد يمكن
اذ كن فطن خبيرا ولا تسال عن الخبر وبالجملة فمن لم يرزق منه شيئا
بالذوق فليس يتيسر له من حقيقة النبوة الا الاسم وكذا ما ذكره الاولياء على التحقيق

بدايات الانبيآ وكان ذلك اوّل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث تبتّل الى جبل حرآ حين كان يخلو فيه بربّه ويتعبد
حتى قالت العرب ان محمدا عشق ربه وهذه حالة يحققها بالذوق
من يسلك سبيلها ومن لم يرزق الذوق فيتيقنها بالتجربة
والتسامع از اكثر معلم الصحبة حتى يفهم ذلك بقرائن الاحوال
نقنا فمن جالسهم استفاد منهم هذا الايمان فهم القوم
لا يشقى بهم جليسهم ومن لم يرزق صحبتهم فعليه امكان ذلك
يقينا بشواهد البرهان على ما ذكرناه في كتاب عجائب القلب
من كتب الاحيآ والتحقيق بالبرهان علم وملابسة عين ذلك
الحالة ذوق والقبول من التسامع والتجربة بحسن الظن
اما زوهذه ثلث درجات ورفع الله الذين امنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات وورآء هؤلآء قوم جهّال هم المنكرون لاصل
ذلك المتعجبون من هذا الكلام يسمعون ويستهزؤن ويقولون
العجب انهم كيف يهذون وفيهم قال تعالى ومنهم من يستمع اليك
حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا
اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهوآءهم ٥ ومما بان
لي بالضرورة من ممارسة طريقهم حقيقة النبوة وخاصيتها
ولا بد من التنبيه على اصلها الشديد مسيس الحاجة اليها ٥
القول في حقيقة النبوة واضطرار كافة الخلق اليها ٥
اعلم ان جوهر الانسان في اوّل الفطرة خلق خاليا
ساذجا لا خبر معه من علوم الله تعالى والعوالم كثيرة
لا يحصيها الا الله كما قال وما يعلم جنود ربك الا هو
وانما خبره من العوالم بواسطة الادراك وكل ادراك فمن الادراكات

خلق ليطّلع الانسان به على عالم من الموجودات ويعني بالعوالم
اجناس الموجودات فاوّل ما خلق في الانسان حاسة
اللمس فيدرك بها اجناسا من الموجودات كالحرارة والبرودة
والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة وغيرها واللمس
قاصر عن الالوان والاصوات قطعا بل هي كالمعدومة في حق
اللمس ثم خلق له البصر فيدرك الالوان والاشكال وهو
اوسع عوالم المحسوسات ثم يفتح السمع فيسمع الاصوات
والنغمات ثم خلق له الذوق كذلك الى ان يجاوز عالم المحسوسات
فيخلق فيها التمييز وهو قريب من سبع سنين وهو طور اخر من
اطوار وجوده فيدرك فيه امورا زائدة على المحسوسات لا يوجد
منها شيء في عالم الحس ثم ترقى الى طور اخر فيخلق له العقل فيدرك
الواجبات والجايزات والمستحيلات وامورا لا يوجد في
الاطوار التي قبله وورآء العقل طور اخر يفتح فيه عين اخرى
يبصر به الغيب وما سيكون في المستقبل وامور اخر العقل
معزول عنها كعزل قوة التمييز عن ادراك المعقولات وكعزل
قوة الحس عن مدركات التمييز وكما ان التمييز لو عرض عليه
مدركات العقل لأباها واستبعدها كذلك بعض العقلا بوا
مدركات العقل النبوة واستبعدوها وذلك عين الجهل اذ
لا مستند له الا انه طور لم يبلغه ولم يوجد في حقه فظن
انه غير موجود في نفسه والا كمه لو لم يعلم بالتواتر والتسامع
الالوان والاشكال وحكي له ذلك ابتدا لم يفهمها ولم يقربها
وقد رتب الله تعالى ذلك على خلقه بالاطوار الموجودة من
خاصية النبوة وهو النوم اذ النائم يدرك ما سيكون من
الغيب اما مرتحا وانما في كسوة مثال يكشف عنه التعبير

وهذا لم تجربه الانسان من نفسه وقيل له ان من الناس من يسقط
مغشيا عليه كالميت وزوال احساسه وسمعه وبصره فيدرك
الغيب لانه واقام البرهان على استحالته وقال القوى الحساسه
اسباب الادراك فمن لا يدرك الشئ مع وجودها وحضوره
فبان لا يدرك مع زوالها اولى واحق وهذا نوع قياس يكذبه
الوجود والمشاهدة فكما ان العقل طور من اطوار الادمى حصل
فيه عن بصر انواعا من المعقولات الحواس معزولة عنها فالنبوة
ايضا عبارة عن طور يحصل فيه عين لها نور يظهر فى نور الغيب
وامور لا يدركها العقل والشك فى النبوة اما ان يقع فى امكانها
او فى وجودها ووقوعها او فى حصولها لشخص معين ودليل
امكانها وجودها ودليل وجودها وجود معارف فى العالم
لا تتصور ان تنال بالعقل كعلم الطب والنجوم فان من بحث عنهما
علم بالضرورة انها لا تدرك الا بالهام الهى وتوفيق من جهة الله
ولا سبيل اليه بالتجربة فمن الاحكام النجومية ما لا تقع الا
فى كل الف سنة الا مرة فكيف تنال ذلك بالتجربة وكذلك
خواص الادوية فيتبين بهذا البرهان ان فى الامكان وجود
طريق لادراك هذه الامور التى لا يدركها العقل وهو المراد
بالنبوة لان النبوة عبارة عنها فقط بل ادراك هذا الجنس
الخارج عن مدركات العقل احد اخواص النبوة ولها خواص
كثيرة سواها وما ذكرها قطرة من بحرها انما ذكرنا الان
معك انموذجا منها وهو مدركاتك فى النوم ومعك علوم
من جنسها فى الطب والنجوم ومى معجزات الانبياء ولا سبيل
اليها للعقل بل بضاعة العقل اصلا اما ما عدا هذا من خواص النبوة

فانما يدرك بالذوق من سلوك طريق التصوف لان هذا
انما فهمته بانموذج رزقته وهو النوم ولولاه لما صدقت
به فان كان للنبى خاصية ليس لك منها انموذج فلا تفهمها
اصلا وكيف تصدق بها وانما التصديق بعد التفهم وذلك
الانموذج حصل فى اوائل طريق التصوف فحصل به نوع
من الذوق بالقدر الحاصل ونوع من التصديق بالم يحصل
بالقياس اليه فهذه الخاصية الواحدة تكفيك للايمان
باصل النبوة فان وقع لك الشك فى شخص معين انه
نبى ام لا فلا يحصل اليقين الا بمعرفة احواله اما بالمشاهدة
او بالتسامع فى التواتر فانك اذا عرفت الفقه والطب
يمكنك ان تعرف الاطباء والفقهاء بمشاهدة احوالهم
وسماع اقوالهم فان لم تشاهد فلا يعجز اضافة معرفة
كون الشافعى فقيها وكون جالينوس طبيبا معرفة بالحقيقة
لا بالتقليد عن الغير بل بان تتعلم شيئا من الطب والفقه
وتطالع كتبهما وتصانيفهما فيحصل لك علم ضرورى بحالهما
فكذلك اذا فهمت معنى النبوة فاكثر النظر فى القرآن
والاخبار يحصل لك العلم الضرورى بكونه صلى الله عليه وسلم
على اعلى درجات النبوة واعضد ذلك بحر به ما قاله
فى العبادات وتاثيرها فى تصفية القلوب وكيف صدق
فى قوله من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم فكيف
صدق فى قوله من اخلص لله اربعين صباحا سلطه الله عليه وكيف صدق
فى قوله من اصبح وهمومه هما واحدا كفاه الله هموم
الدنيا والاخرة فاذا جربت ذلك فى الف والفين والاف
حصل لك علم ضرورى لا يتمارى فيه فمن هذا الطريق اطلب

اليقين بالنبوة لامن قلب العصا ثعبانا وشق القمر
فان ذلك اذا نظرت اليه وحده ولم تضم اليه القرائن
الكثيرة الخارجة عن الحصر ربما ظننت انه سحر وانه تخييل
وانه من الله تعالى اضلال فانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء
ويرد عليك اصوله المعجزات فاذا كان مستند ايمانك
كلاما منظوما في وجه دلالة المعجزة فينجزم ايمانك
بكلام مرتب في وجه الاشكال والشبهة عليها قليلين
مثل هذه الخوارق لاحدى الدلايل والقرائن في جملة فطرك
حتى تحصل لك علم ضروري لا يمكنك ذكر مستنده على
التعيين كالذي يخبره جماعة بخبر متواتر لا يمكنه ان
يذكر ان اليقين مستفاد من قول واحد معين بل من جميعهم
لا يدري ولا يخرج عن جملة ذلك ولا يعين الاحاد
فهذا هو الايمان العلمي القوي واما الذوق فهو
كالمشاهدة والاخذ باليد ولا يوجد الا في طريق
الصوفية فهذا القدر من حقيقة النبوة كاف
في الغرض الذي اقصده الآن وساذكر وجه الحاجة الى ذكر
القول في سبب معاودة نشر العلم بعد الاعراض عنه
ثم اني لما واظبت على العزلة والخلوة قريبا من عشر سنين
وبان لي في اثناء ذلك على الضرورة من اسباب لا احصيها
مرة بالذوق ومرة بالعلم البرهاني ومرة بالقول الايماني
ان الانسان خلق من بدن وقلب واعني بالقلب حقيقته
وروحه التي هي محل معرفة الله تعالى دون اللحم الذي
تشارك فيه الميت والبهيمة وان البدن له صحة بها سعادته

ومرض فيه هلاكه وان القلب كذلك له صحة وسلامة ولا
ينجو الا من اتى الله بقلب سليم وله مرض فيه هلاكه الابدي
الاخروي كما قال تعالى في قلوبهم مرض وان الجهل بالله سمة
المهلك وان معصية الله تنبعث من الهوى داء المرض
وان معرفة الله تعالى تنبعث من المحبة وطاعته تنبعث من الهوى
داؤه الشافي فانه لا سبيل الى معالجته بازالة مرضه وكسب
صحته الا بادوية كما لا سبيل في معالجة البدن الا بذلك
وكما ان ادوية البدن تؤثر في كسب الصحة لخاصية فيها
لا يدركها العقل ببضاعة العقل يجب فيها تقليد الاطباء
الذين اخذوها من الانبياء الذين اطلعوا بخاصية النبوة
على خواص الاشياء فكذلك بان لي على الضرورة ان ادوية
العبادات بحدودها ومقاديرها المحدودة المقدرة من جهة
الانبياء لا يدرك وجه تاثيرها ببضاعة العقل للعقل بل يجب
فيها تقليد الانبياء الذين ادركوا تلك النبوة لا ببضاعة العقل
وكما ان الادوية تركب من اخلاط مختلفة النوع والمقدار
وبعضها ضعف البعض في الوزن ولا يخلوا اختلاف مقاديرها
عن سر هو من قبيل الخواص فكذلك العبادات التي هي ادوية
القلوب مركبة من افعال مختلفة النوع والمقدار حتى
ان السجود ضعف الركوع وصلوة الصبح نصف صلوة الظهر
في المقدار فلا يخلوا عن سر من الاسرار هي من قبيل الخواص
التي لا يطلع عليها الا بنور النبوة فقد تجاسر وتجاهل
جدا من اراد ان يستنبط بطريق العقل لها حكمة او ظن
انها ذكرت على الاتفاق لا عن سر الهي فيها بعضها بطريق
الخاصية وكما ان في الادوية اصولا هي اركانها وزوائد هي
متممات لها فكذلك لكل واحد منها خصوص تاثير واعمال اصولها

www.

كذلك النوافل والسنن متممات لتكميل اثار اركان العبادات
وعلى الجملة فالانبياء اطباء امراض القلوب وانما فايدة العقل
وتصرفه ان عرفنا ذلك وشهد للنبوة بالتصديق ولنفسه
بالعمى عن درك ما يدرك بغير النبوة واخذ بايدينا وسلمنا
تسليم العميان الى القائدين وتسليم المرضى المتحيرين الى الاطباء
المشفقين فالعقل منا مجرى العقل ومحطاه وهو معزول
عما بعد ذلك الا عن تعلم ما يلقيه الطبيب اليه فهذه
امور عرفناها بالضرورة الجارية مجرى المشاهدة في
ملة الخلوة والعزلة ثم رأينا فتور الاعتقادات في اصل
النبوة ثم في حقيقة النبوة ثم في العمل بما شرحته النبوة
وتحققنا شيوع ذلك بين الخلق فطرقت الى اسباب فتور
الخلق وضعف ايمانهم فاذا هي اربعة سبب من الخائضين
في علم الفلسفة وسبب من الخائضين في طريق التصوف
وسبب من المنتسبين الى دعوى التعليم وسبب من معاطاة
الموسومين بالعلم فيما بين الناس فاني تتبعت ملة احاد
الخلق اسالك من يقصر منهم في متابعة الشرع واسأله عن
شبهته وابحث عن عقيدته وبثه وقلت له مالك يقصر
فان كنت تؤمن بالاخرة ولست تستعد لها وتبيعها بالدنيا
فهذه حماقة فانك لا تبيع الانفس بواحد فكيف تبيع
ما لا نهاية له بايام معدودة وان كنت لا تؤمن به فانت كافر
فدبر لنفسك في طلب الايمان وانظر ما سبب كفرك الخفي
الذي هو مذهبك باطنا وهو سبب جراتك ظاهرا
وان كنت لا تصرح به تجملا بالايمان وتشوفا لذكر الشرع فقابل
يقول هذا امر لو وجبت المحافظة عليه لكان العلماء اجدر بذلك

وفلان من المشاهير بين الفضلاء لا يصلي وفلان يشرب الخمر وفلان يأكل
اموال الاوقاف واليتامى وفلان يأكل ادرار السلطان ولا يحترز من
الحرام وفلان يأخذ الرشوة على القضاء والشهادة وهلم جرا الى امثاله
وقابل ثاني يدعي علم التصوف ويزعم اني قد بلغت مبلغا رفيعا
عن الحاجة الى العبادة وقابل ثالث تعلل بشبهة اخرى من شبهات
اهل الاباحة وهؤلاء هم الذين ضلوا من طريق التصوف وقابل رابع
ينتمي الى التعليم فيقول الحق متكل والطريق اليه مسدود والاختلاف فيه
كثير وليس بعض المذاهب اولى من البعض وادلة العقول متعارضة
فلا ثقة برأي اهل الرأي والداعي الى التعليم متحكم لا حجة له فكيف
ندع اليقين بالشك وقابل خامس يقول لست افعل هذا
تقليدا ولكني قرأت علم الفلسفة وادركت حقيقة النبوة وان
حاصلها يرجع الى الحكمة والمصلحة فان المقصود من تعبداتها
ضبط عوام الخلق وتقييدهم عن المعاملة والتسارع الى الاكتساب
في الشهوات فما انا من العوام الجهلاء حتى ادخل في حجر التكليف
وانا انا من الحكماء اتبع الحكمة وانا بصيرة بها مستغنى فيها
عن التقليد هذا منتهى ايمان من قرأ فلسفة الالهيين منهم
ويعلم ذلك من كتب ابن سينا وابي نصر الفارابي وهؤلاء هم المتجملون
منهم بالاسلام وربما يرى الواحد منهم يقرأ القرآن ويحضر
الجماعات والصلوات ويعظم الشريعة بلسانه ولكنه مع ذلك
لا يترك شرب الخمر وانواعا من الفسق والفجور واذا قيل له ان كانت
النبوة غير صحيحة فلم تصلي فربما يقول رياضة الجسد وعادة اهل البلد
وحفظ المال والجاه وربما قال الشريعة صحيحة والنبوة حق فيقال
فلم تشرب فيقول انما نهي عن الخمر لانها تورث العداوة والبغضاء وانا
لا اكذب ولا اؤذي احدا فهذا معنى تحريمها وانما قصد به تشحيذ خاطري حتى ازداد ذكاء

ذكر في وصية له كتب فيها انه عاهد الله تعالى على كذى وكذا
وان يعظم الاوضاع الشرعية ولا يقصر في العبادات المذكورة
ولا يشرب تلهيا بل تداويا وتشفيا فكان منتهى حالته في صفا
الايمان والتزام العبادات ان استثنى شرب الخمر لغرض
التشفي فهذا ايمان من يدعي الايمان منهم وقد انخدع بهم
جماعة وزادهم انخداعا ضعف اعتراض المعترضين عليهم
اذا اعترضوا عليهم بمجاحدة علم الهندسة والمنطق وغير ذلك
مما هي ضرورية لهم على ما بينا عليه من قبل فلما رأيت اصناف
الخلق وضعف ايمانهم الى هذا الحد بهذه الاسباب ورأيت
نفسي طبيا بكشف هذه الشبه حتى كان افتضاح هؤلاء اليسر
عندي من شربة ماء لكثرة خوضي في علومهم وطرقهم اعني
طرق الصوفية والفلاسفة والتعليمية والمسمين
العلماء انقدح في نفسي ان ذلك متعين في هذا الوقت
محتوم فماذا يعنيك الخلوة والعزلة فقد عم الداء ومرض
الاطباء واشرف الخلق على الهلاك ثم قلت في نفسي فمتى
تستقل انت بكشف هذه الغمة ومصادمة هذه الظلمة
الملمة والزمان زمان الفترة والدور دور الباطل ولو اشتغلت
بدعوة الخلق عن طرقهم الى الحق لعاداك اهل الزمان بأجمعهم
وانى تقاومهم وكيف تقاسيهم ولا يتم ذلك الا بزمان
مساعد وسلطان منذ بن قام فتى خصت بيني وبين الله تعالى
بالاستمرار على العزلة تعللا بالعجز عن اظهار الحق بالحجة
فقدر الله سبحانه وتعالى ان حرك داعية سلطان الوقت
من نفسه لا بتحريك من خارج فاصر امر الزام بالنهوض الى

تدارك هذه الفترة وبلغ الالزام حدا كان يتنمى لو اصريت
على الخلاف الى الحد الوحشة فخطر لي ان سبب الرخصة قد
ضعف فلا ينبغي ان يكون ما عنك على ملازمة العزلة الكسل
والاستراحة وطلب عزة النفس وصونها عن اذى الخلق
ولم ترخص نفسك بعصر مقاساة الخلق والله تعالى يقول
الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون
ولقد فتنا الذين من قبلهم الآية ويقول عز وجل لرسوله
وهو اعز خلقه ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما
كذبوا واوذوا حتى اتيهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد
جاءك من نبأ المرسلين ويقول عز وعلا يس والقرآن الحكيم
الى قوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون لقد حق
القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا
الى قوله انما تنذر من اتبع الذكر فشاورت في ذلك جماعة من
ارباب القلوب والمشاهدات فاتفقوا على الاشارة بترك
العزلة والخروج من الزاوية وانضاف الى ذلك منامات
من الصالحين كثيرة متواترة تشهد بان هذه الحركة مبدأ
خير ورشد قدره الله على راس هذه المائة وقد وعد الله سبحانه
باحياء دينه على راس كل مائة فاستحكم الرجاء وغلب
حسن الظن بسبب هذه الشهادات ويسر الله تعالى الحركة
الى نيسابور للقيام بهذا المهم في ذي القعدة سنة تسع وثمانين واربعمائة
وكان الخروج من بغداد في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين
وبلغت مدة العزلة اطول عشر سنة وهذه حركة قدرها الله تعالى
وهي من عجائب تقادير الله التي يكثر لها انقداح في القلب

في مدة العزلة كما لم يكن للخروج من بغداد والنزوع عن تلك
الاحوال مما خطر امكانه اصلا بالبال والله تعالى مقلب
القلوب والاحوال وقلب المومن بين اصبعين من اصابع
الرحمن وانا اعلم اني وان رجعت الى نشر العلم الذي به تكتسب
الجاه ادعوا اليه بقولي وعملي وكان ذلك قصدي
ونيتي وانا الآن ادعوا الى العلم الذي به نترك الجاه ويعرف
به سقوط رتبة الجاه هذا موالآن يلتئم وقصدي وامنيتي
يعلم الله ذلك مني وانا ابغي ان اصلح نفسي وغيري ولست
ادري اصل الى مرادي ام احرم عن غرضي كلتي او من ايمان
يقين ومشاهدة انه لا حول لي ولا قوة الا بالله وانى
لم اتحرك ولكنه حركني وانى لم اعمل ولكنه استعملني فاسأله
ان يصلحني اولا ثم يصلح بي ويهدني ثم يهدي بي وان يريني
الحق حقا ويرزقني اتباعه وان يريني الباطل باطلا ويرزقني اجتنابه
ونعود الآن الى ما ذكرناه من اسباب ضعف الايمان ونذكر طريق
ارشادهم وانقاذهم من مهالكهم اما الذين ادعوا الحكمة
بما سمعوه من اهل التعليم فعلاجه ما ذكرناه في القسطاس
المستقيم ولا نطول بذكره هذه الرسالة واما من اتقن تتمة
اهل الاباحة فقد حصرنا شبههم في سبعة انواع
وكشفنا عما في كتاب كيمياء السعادة واما من فسد ايمانه
بطريق الفلسفة حتى انكر اصل النبوة فقد ذكرنا حقيقة
النبوة ووجودها بالضرورة بدليل وجود علم خواص الادوية
والنجوم وتسخيرها وانما قدمنا منه المقدمة لاجل ذلك وانما
اوردنا الدليل على خواص الطب والنجوم لانه من نفس علمهم

ونحن نبين لكل عالم لفن من العلم كالنجوم والطب والطبيعة
والسحر والطلسمات مثلا من نفس علمه برهان النبوة
واما من اثبت النبوة بلسانه وسوى اوضاع الشرع
على الحكمة فهو على التحقيق كافر بالنبوة انما المومن من يحكم له
طالع مخصوص يقتضي طالعه ان يكون منبوءا وليس هذا من
النبوة في شيء بل الايمان بالنبوة ان تقترن باثبات طور فوق طور
العقل يفتح فيه عين يدرك بها مدركات خاصة والعقل
معزول عنها كعزل السمع عن ادراك الالوان والبصر عن ادراك
الاصوات وجميع الحواس عن ادراك المعقولات فانها
تجوز هذا فقد اقمنا البرهان على امكانه بل على وجوده وان تجوز
هذا فقد ثبت ان ههنا امورا تسمى خواص لا يدور تصرف
العقل حواليه اصلا بل يكاد العقل يكذب به ويقضي باستحالته
فان وزن دانق من الافيون سم قاتل لانه يجمد الدم في العروق
لقوة برودته والذي يدعي علم الطبيعة يزعم انه انما يبرد
من المركبات بعنصري الماء والتراب فيهما العنصران البارد ان
ومعلوم ان ارطالا من الماء والتراب لا يبلغ تبريده في الباطن
الى هذا الحد فلو اخبر طبيب بهذا ولم يجربه لقال هذا
محال والدليل على استحالته ان فيه نارية وهوائية
والنارية لا تزيدها برودة فقدر الكل ماء وترابا فلا توجب
هذا الافراط في التبريد فان انضم اليه حار ان لا توجب اولا
وتقدر هذا برهانا واكثر براهين الفلاسفة في الطبيعيات
والالهيات مبني على هذا الجنس فانهم بنوا امورا على قلة
ما وجدوه وعقلوه وما لم يالفوه قدروا استحالته ولو لم يكن

الرويا الصادقة ما لوفقه وادعى مدعي انه عند رؤية الخواص
يعلم الغيب لانكره المنصفون بمثل هذه العقول ولو قيل
لواحد هل يجوز ان يكون في الدنيا شيء هو مقدار حبة بوضع
في بلده فيأكل تلك البلد بجملتها ثم يأكل نفسه فلا يبقى شيء
من البلد وما فيها ولا يبقى هو في نفسه لقال هذا محال وهو
من جملة الخرافات وهذه حالة النار بكثرتها من لم ير النار
اذا سمعها واكثر انكار عجايب الاخرة هو من هذا القبيل
وقول للفلسفي قد اضطررنا الى ان نقول في الافيون
خاصية في التبريد ليس على قياس المعقول بالطبيعة
فلم لا يجوز ان يكون في الاوضاع الشرعية من الخواص في مداواة
القلوب وتصفيتها ما لا يدرك بالحكمة العقلية بل لا
يبصر ذلك الا بعين النبوة بل قد اعترفوا بخواص هي اعجب
من هذا مما اوردوه في كتبهم وهي من الخواص العجيبة المجربة
بمعالجة الحامل التي عسر عليها الطلق بهذا الشكل

د	ج	ح
ط	ه	ا
ب	ن	و

يكتب على خزفتين لم يصبهما ماء وينظر
اليهما الحامل بعينيها وتضعهما تحت
قدميها فيسرع الولد في الحال الى الخروج
وقد اقروا بامكان ذلك واوردوه في عجايب الخواص
وهو شكل فيه تسعة بيوت يرقم فيها رقوم مخصوصة
يكون مجموع ما حول واحد منه خمسة عشر قرائته في طول
الشكل او في عرضه او على القاطر فليت شعري من صدق
بذلك لم لا يسعه عقله للتصديق بان تقدير صلوة الصبح
بركعتين والظهر باربع والمغرب بثلثة هي لخواص غير معقولة

بنظر الحكمة وسبب اختلاف هذه الاوقات وانما يدرك
هذه الخواص بنور النبوة والعجب انا لو عبرنا بالعبارة
الى عبارة المنجمين لعقلوا اختلاف هذه الاوقات فنقول
اليس لاختلاف الحكم في الطالع بان يكون الشمس في وسط السما
او في الطالع او في الغارب حتى بنوا على هذا وفي تسييرهم
لاختلاف البيلاج وتفاوت الاعمار والاجال ولا فرق
بين الزوال وبين كون الشمس في وسط السما ولا بين المغرب
وبين كون الشمس في الغارب فهل التصديق سبب الا ان
ذلك سمعه بعبارة منجم لعله جرب كذبه مائة مرة
ولا يزال يعاود تصديقه حتى لو قال له المنجم اذا كانت
الشمس في وسط السما ونظر اليه الكوكب الفلاني والطالع
هو البرج الفلاني فلبست ثوبا جديدا في ذلك الوقت
قتلت في ذلك الوقت الثوب فانه لا يلبس الثوب في
ذلك الوقت وربما يقاسي فيه البرد الشديد وربما سمعه
من منجم قد عرف كذبه مرات فليت شعري من يتسع
عقله لقبول هذه البدايع وتضطر الى الاعتراف بانها
خواص معرفتها معجزة بعض الانبيا كيف ينكر مثل ذلك
فيما يسمعه من قول نبي صادق مويد بالمعجزات لم يعرف
بالكذب قط فان انكر فلسفي امكان هذه الخواص في اعداد
الركعات ورمي الجمار وعدد اركان الحج وسايرتعبدات
الشرع لم يجد بينه وبين خواص الادوية والنجوم فرقا اصلا
فان قال قد جربت شيئا من النجوم وشيئا من الطب
فوجدت بعضه صادقا فانقدح في نفسي تصديقه وسقط
عن قلبي استبعاده ونفرته

وهذا لم تجربه فيم اعلم وجوده وتحققه وان اقر بامكانه فاقول
انك لا تصر على تصديق ما جربته بل سمعت اخبار المجربين وقلدتهم
فاسمع اقوال الاولياء فقد جربوه وشاهدوا الحق في جميع ما وردت به
الشرع او اسلك سبيلا يدركك بالمشاهدة بعض ذلك على الاقل
اقول وان لم تجرب فيقضي عقلك بوجوب التصديق والاتباع
قطعا فانا لو فرضنا رجلا بالغا وعقلا ولم يجرب ومرض وله والد
مشفق حاذق بالطب يسمع دعواه معرفة الطب منذ عقل
يجز له والده دواء وقال هذا يصلح لمرضك ويشفيك من مرضك
فما ذا يقتضيه عقله وان كان الدواء مرا كريه المذاق فان يتناول
او يكذب ويقول انا لا اعقل مناسبة هذا الدواء لتحصيل الشفاء
ولم اجربه فلا اسلك انك ستحمقه ان فعل ذلك وكذلك
ستحمقك اهل البصائر في توقفك فان قلت فيم اعرف شفقة
النبي ومعرفته بهذا الطب فاقول ومم عرفت شفقة ابيك
ليس ذلك امرا محسوسا لكن عرفته بقرائن احواله وشواهد اعماله
في مصادره وموارده علما ضروريا لا يتمارى فيه ومن نظر في اقوال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ورد في الاخبار في اتمامه بارشاد
الخلق وتلطفه في جرّ الناس بانواع الرفق واللطف الى تحسين
الاخلاق واصلاح ذات البين وبالجملة الى ما يصلح به دينهم ودنياهم
حصل له علم ضروري بان شفقته على امته اعظم من شفقة الوالد
على ولده واذا نظر الى عجائب ما ظهر عليه من الافعال والى عجائب
الغيب الذي اخبر عنه في القرآن وفي الاخبار والى ما ذكره في اخر
الزمان وظهور ذلك كما ذكره علم علما ضروريا انه بلغ الطور الاسنى
وراء العقل وانفتح له العين التي ينكشف فيها الغيب والحق
وانه من الذين لا يدركهم الشقاء وهذا هو منهاج تحصيل العلم الضروري
بصدق النبي فجرب وتامل القرآن وطالع الاخبار يعرف ذلك بالعيان

عليه السلام

وهذا القدر يكفي في تنبيه المتفلسفة ذكرناه لشدة الحاجة
اليه في هذا الزمان وامّا السبب الرابع وهو ضعف الايمان بسبب
سوء سيرة العلماء فيدا وي هذا المريض بثلثة امور احدها
ان يقول العالم الذي يزعم انه ياكل الحرام معرفته بتحريم الحرام
والكذب والنميمة وان تعرف ذلك وفعله لا لعدم ايمانك
بانه معصية بل لشهوتك الغالبة عليك فشهوتك كشهوتك
وقد غلبته فعلمه بمسائل وراء هذا لم يمنعه عنك لا يناسب
زيادة زجر عن هذا المحظور المعين وكم من مومن يغلب لا يصبر
عن الفاكهة وعن الماء البارد وان زجره الطبيب عنه ولا يدل ذلك
على انه غير ضار او على ان الايمان بالطب ليس بصحيح فهذا يحمل الوجه
العلاج الثاني ان يقال للعالم ينبغي ان تعتقد ان العالم اتخذ علمه
ذخرا لنفسه في الاخرة وظن ان علمه ينجيه ويكون شفيعا له
حتى يسامح معه في اعماله لفضيلة علمه وان جاز ان يكون علمه
زيادة حجة عليه فهو يجوز ان يكون زيادة درجة له وهو ممكن فهو وان
ترك العمل فبدلي بالعلم اما انت ايها العالم اذا نظرت اليه
فتركت العمل وانت عن العلم عاطل فيملك بسوء عملك ولا شفيع لك
الثالث وهو الحقيقة ان العالم الحقيقي لا يفارق معصية الا
على سبيل الهفوة ولا يكون مصرا على المعاصي اصلا اذ العلم الحقيقي
ما يعرفه ان المعصية سم مهلك وان الاخرة خير من الدنيا ومن
عرف ذلك لا يبيع الخير بما هو ادنى وهذا العلم لا يحصل بانواع
العلوم التي يشتغل بها اكثر الناس فلذلك لا يريد هم ذلك العلم
الا جراءة على معصية الله تعالى فاما العلم الحقيقي فيريد صاحبه
خشية وخوفا وذلك يحول بينه وبين المعاصي الا الهفوات
التي لا تنفك عنها البشر في الفترات وذلك لا يدل على ضعف الايمان
فالمومن مفتن توّاب وهو بعيد عن الاصرار والاكباب فهذا
ما اردت ان اذكره في ذم الفلسفة والتعليم وافاته وافاتهم انكم
عليهم لا بطريقه ونسال الله العظيم ان يجعلنا ممن انار واجتباه وارشد الى

معرفة تحريم الحرام كمعرفة تحريم الخمر والزنا بل تحريم الغيبة والكذب

وألهمه ذكره حتى لا ينساه وعصمه من
شر نفسه حتى لم يؤثر عليه سواه واستخلصه
لنفسه حتى لم يعبد إلا إياه وصلى الله على محمد خير البشر
وعلى آله خير الأمم

نجز الكتاب بحمد الله ومنه
وفرغ عبد المحتاج الفضل الفراري الطرابلسي
عن نسخه صبيحة يوم الجمعة لسبع خلون
من شوال سنة تسع وخمسمائة
وهو يحمد الله تعالى على الآئه
ويشكره على جميل بلائه
وجزيل عطائه
ويصلي على النبي محمد سيد أنبيائه
وعلى آله وسلم
وحسبنا الله ونعم الوكيل

بسم الله الرحمن الرحيم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كتاب التفرقة بين الاسلام والزندقة فيصل

صنفه السيخ الامام الاجل الزاهد الاوحد حجة الاسلام

ابو حامد محمد بن محمد بن احمد الغزالي نور الله ضريحه

عبد المجيد الفضلي على العراري الطبري

نفعه الله تعالى به ورزقه خير الدارين ثمنه على محمود له

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ عونك اللهم وتوفيقك

احمد الله تعالى استسلاما لعزته واستتماما لنعمته واستغفاما
لتوفيقه ومعونته واستعصاما من خذلانه ومعصيته ۞
واستدرارا للسوابغ لكنته واصلي على محمد عبده ورسوله وخير خليقته
انقيادا للبوته واستجلابا لشفاعته وقضاء لحق رسالته ۞ اما بعد
واعتصاما بمن نقيسته وعلى آله واصحابه وعترته ۞ اما بعد
فاني رايتك ايها الاخ المشفق الصديق المتعصب موغر الصدر
مغتم الفكر لما قرع سمعك من طعن طاعنة من الحسدة على بعض
كتبنا المصنفة في اسرار معاملات الدين وقد عمه ان فيه ما يخالف
مذهب الاصحاب المتقدمين والمشايخ المتكلمين وان العدول عن
مذهب الاشعري ولو في قيد شبر كفر ومباينته ولو في شبر نزر ضلال
وخسر فهون ايها المشفق المتعصب على نفسك ولا تضيق
به صدرك وقل من غير بك قليلا واصبر على ما تقول وتجرام
بحرا جميلا واستحقر من لا يحسد ولا يقذف واستقص من
بالكفر والضلال لا يقرف فاي داع اكل واعقل من سيد المرسلين
وقد قالوا انه مجنون وهاي كلام اجل واصدق من كلام رب العالمين وقد
قالوا انه اساطير الاولين واياك ان تشتغل بخصامهم وتطمح في
اجامهم فتطمع في غير مطمع وتقرب في غير منسع لا سمعت طائل
كل العداوة قد ترجى مودتها الا عداوة من عاداك عن حسد ۞
ولو كان فيه مطمع لاحذر الناس لما تلى على اجلهم ربنة ايات البأس
او ما سمعت قوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم الآية الى قوله
فلا تكونن من الجاهلين ولو فتحنا عليهم بابا من السما فظلوا فيه يعرجون
لعاريا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون وقوله تعالى ولو نزلنا
عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين

من الجانبين
صح
اصح
مطرب
ما فتحها

وقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ
قبلا ما كانوا ليومنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون ۞ والعلم
ان حصفة الكفر والايمان وحليتها والحق والضلال وسماتها لا تتجلى
للقلوب المدنسة بالاموال والجاه وحبهما بل انما تنكشف ذلك
لقلوب طهرت عن اوضار الدنيا اولا ثم صقلت بالرياضة العالية
ثانيا ثم نورت بالذكر الصافي ثالثا ثم عديت بالفكر الصائب رابعا
ثم زينت بملازمة حدود الشرع خامسا حتى فاض عليها النور
من مشكوة النبوة وصارت كانها مرآة بحاذية وصار مصباح الايمان
في زجاجة قلبه مشرق الانوار يكاد زيته يضئ ولو لم تمسسه نار ۞
واني تتجلى اسرار الملكوت لقوم الهمم مواهمم ومعبودهم بطونهم
وقبلتهم دراهمهم ودنانيرهم وشريعتهم رعونتهم وارادتهم
جاههم وشهواتهم وعباداتهم خدمتهم الاغنيا وذكرهم وساوسهم
وفكرهم استنباط الحيل لما يقتضيه حشمتهم فهيهات من اين يتحرى
لهم ظلمة الكفر من ضيا الايمان واين يلهام الهي ولم يقرعوا القلوب
عن كدورات الدنيا لقبولها ام بكمال علمي وانما بضاعتهم في العلم
مسئلة او آلة النجاسة وما الرعفران وامثالها من سيمات هذا المطلب
انفس واعز من ان يدرك بالمنى او ينال بالهوينا فاشتغل انت
بشانك ولا تضيع فيهم بقية زمانك واعرض عمن تولى عن ذكرنا
ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل
عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ۞ فصل فاما انت ان اردت
ان تنتزع هذه الحسيكة عن صدرك وصدر من هو في مثل
حالك ممن لا تحركه غواية الحسود ولا تغيبه عماية التقليد
بل تعطشه الى الاستبصار لحز ازة اشكال اثارها فليتحفظ

www.alukah.net

نخاطب نفسك وصاحبك وطالبك بحد الكفر فان زعم ان حد
الكفر مخالف مذهب الاشعري او مذهب المعتزلي او الحنبلي او
غيرهم فاعلم الله عز وجل يلهمك قد قيد التقليد فهو اعمى من العميان فلا
تضيع باصلاحه الزمان وناهيك حجة في افحامه مقابلة دعواه
بدعوى خصومه اذ لا مجد بين نفسه وبين سائر المقلدين المخالفين له
فرقا وفصلا ولعل صاحبه يميل من بين سائر المذاهب الى الاشعري
ويزعم ان مخالفته في كل ورد وصدر من الكفر الجلي فاسئله ابن ثبت
له كون الحق وقفا عليه حتى قضى بكفر الباقلاني اذ خالفه في صفة البقاء
لله تعالى وزعم انه ليس وصفا زائدا على الذات وما صار الباقلاني اولى بالكفر
بمخالفة الاشعري من الاشعري بمخالفة الباقلاني وما صار الحق وقفا على احدهما
دون الثاني اذ لك لاجل السبق في الزمان فقد سبق الاشعري غيره
من المعتزلة فليكن الحق للسابق عليه ام لاجل التفاوت في الفضل والعلم
فاي ميزان ومكيال قدر درجات الفضل حتى لاح له ان الا افضل
في الوجود من متبوعه ومقلده فان رخص للباقلاني مخالفته فلم حجر
على غيره والفرق بين الباقلاني والكرابيسي والقلانسي وغيرهما ما مدرك
التخصيص لهذه الرخصة وان زعم ان خلاف الباقلاني يرجع الى لفظ لا الى معنى
وان اهما تعسف نتكلفه بعض المتعصبين زاعما انهما جميعا متوافقان
على دوام الوجود والخلاف في ان ذلك يرجع الى الذات او الى وصف
زائد عليه خلاف قريب لا يوجب التشديد فما باله يشدد القول
على المعتزلي في نفيه الصفات وهو معترف بان الله تعالى عالم محيط
بجميع المعلومات قادر على جميع الممكنات وانما خالف الاشعري في
انه عالم وقادر بالذات او بصفة زائدة فما الفرق بين الخلافين واي مطلب
اجل واخطر من صفات الحق سبحانه والنظر في تغبيط واثباتها
فان قال انما كفر المعتزلي واشتد عليه لانه يزعم ان الذات الواحدة

59

تصدر منها فاية العلم والقدرة والحيوة وهي صفات مختلفة
بالحد والحقيقة والحقايق المختلفة يستحيل ان يوصف بالاتحاد
او تقوم مقامها الذات الواحدة فما باله لا يستبعد من الاشعري
قوله ان الكلام صفة واحدة قائمة بذات الله تعالى ومع كونه واحدا
فهو توراة وانجيل وقرآن وهو اوامر ونواهي وخبر واستخبار
وهذه حقايق مختلفة وكيف لا وحد الخبر ينطرق اليه التصديق
والتكذيب ولا ينطرق ذلك الى الامر والنهي وكيف يكون حقيقة واحدة
ينطرق اليها التصديق والتكذيب ولا ينطرق اليها نفي ولا اثبات
فان تخبط في جواب هذا او عجز عن كشف الغطاء عنه فاعلم انه
ليس من اهل النظر وانما هو مقلد وشرط المقلد ان يسكت ويسكت
عنه لانه قاصر عن سلوك طرق الحجاج ولو كان اهلا له لكان
مستتبعا لا تابعا واماما لا مأموما فان خاض المقلد في
المحاجة فذلك منه فضول والمستغل به ضارب في حديد بارد
وطالب لصلاح الفاسد وهل يصلح العطار ما افسد الدهر ولعلك
ان انصفت علمت ان من جعل الحق وقفا على واحد من النظار يعينه
فهو الى الكفر والتناقض اقرب اما الكفر فلانه نزله منزلة النبي المعصوم
الذي لا يثبت الا ما وافقه ولا يلزم الكفر الا بمخالفته
واما التناقض فهو ان كل واحد من النظار موجب للنظر ومحرم
للتقليد فكيف يقول يجب عليك النظر مع تقليدي او يجب عليك
ان تنظر وان لا ترى في نظرك الا ما ارانه حجة فعليك
ان تعتقد حجة وما ارانه شبهة فعليك ان تعتقده شبهة والى فرق بين من
يقبل قلدني في مجرد مذهبي وبين من يقول قلدني في مذهبي ودليله
جميعا وهل هذا الا تناقض فصل لعلك تشتهي ان تعرف حد الكفر
بعد ان تناقض عندك حدود اصناف المقلدين

www.alukah.net

فاعلم ان شرح ذلك طويل ومدركه غامض ولكني اعطيك
علامة صحيحة مطردة منعكسة ليتخذها مطمح نظرك وترعوي
بسببها عن تكفير الفرق وتطويل اللسان في اهل الاسلام وان
اختلف طرقهم ما داموا متمسكين بقول لا اله الا الله محمد رسول الله
صادقين بها عجز منا فنضيق لها فاقول الكفر هو تكذيب الرسول
صلوات الله عليه في شيء مما جاء به والايمان تصديقه في جميع ما جاء به
فاليهودي والنصراني كافران لتكذيبهم الرسول والبرهمي كافر
بطريق الاولى لانه انكر مع رسولنا سائر الرسل والدهري كافر بطريق
الاولى لانه انكر المرسِل مع الرسُل وهذا الان الكفر حكم شرعي
كالرق والحرية مثلا اذ معناه باجمال اللام والحكم بالخلود في
النار ومدركه شرعي فيدرك اما بنص او بقياس على منصوص
وقد وردت النصوص في اليهود والنصارى والتحق بهم بطريق
الاولى البراهمة والثنوية والزنادقة والدهرية وكلهم مشتركون
في انهم مكذبون للرسل فكل كافر مكذب للرسول وكل مكذب
فهو كافر فهذه هي العلامة المطردة المنعكسة

فصل

اعلم ان هذا الذي ذكرناه مع ظهوره تحته غور بل تحته كل الغور
لان كل فرقة تكفر مخالفها فتنسبه الى تكذيب الرسول فالحنبلي
يكفر الاشعري زاعما انه كذب الرسول في اثبات الفوق لله تعالى
وفي الاستواء على العرش والاشعري يكفره زاعما انه شبهه وكذب
الرسول في انه ليس كمثله والاشعري يكفر المعتزلي زاعما انه
كذب الرسول في جواز رؤية الله تعالى وفي اثبات العلم والقدرة
والصفات له والمعتزلي يكفر الاشعري زاعما ان اثبات الصفات
تكثير للقدماء وتكذيب للرسول في التوحيد ولا ينجيك من هذه
الورطة الا ان تعرف حد التكذيب والتصديق وحقيقته بما فيه تنكشف له

غلو هذه الفرق واسرافها في تكفير بعضها بعضا فاقول التصديق
انما تطرق الى الخبر وحقيقته الاعتراف بوجود المخبر الرسول صلوات الله عليه
عن وجوده الا ان للوجود خمس مراتب ولاجل الغفلة عنها
نسبت كل فرقة مخالفها الى التكذيب فان الوجود ذاتي وحسي وخيالي
وعقلي وشبهي فمن اعترف بوجود ما اخبر الرسول عن وجوده
بوجه من هذه الوجوه الخمسة فليس بمكذب على الاطلاق فلنشرح
هذه الاصناف الخمسة ولنذكر مثالها في السماويات اما الوجود
الذاتي فهو الوجود الحقيقي الثابت خارج الحس والعقل ولكن
باخذ الحس والعقل عنه صورة فيسمى لاجله ادراكا وهذا الوجود
السماء والارض والحيوان والنبات وهو ظاهر بل هو المعروف الذي
لا يعرف الاكثرون للوجود معنى سواه واما الوجود الحسي
فهو ما يتمثل في القوة الباصرة في العين مما وجوده خارج العين
فيكون موجودا في الحس ويختص به الحاس ولا يشاركه غيره وذلك
كما يشاهد النائم بل كما يشاهده المريض المستيقظ اذ قد يتمثل
له صور لا وجود لها خارج حسه حتى يشاهدها كما يشاهد
سائر الموجودات الخارجة عن حسه بل قد يتمثل للانبياء والاولياء
في الصحة واليقظة الصور الجميلة محاكية لجوارم الملائكة ويتمايز
لهم الوحي والالهام بواسطتها فيتلقون من امر الغيب في
اليقظة ما يتلقاه غيرهم في النوم وذلك لشدة صفاء باطنهم
كما قال تعالى فتمثل لها بشرا سويا وكما انه صلوات الله عليه رأى
جبريل عليه السلام كثيرا ولكن ما رآه في صورته الا مرتين وكان يراه في صور مختلفة
يتمثل بها وكما يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقد قال من رآني
فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي ولا يكون رؤيته بمعنى
انتقال شخصه من روضة المدينة الى موضع النائم بل على سبيل وجود
صورته في حس النائم فقط

وسبب ذلك وسرّ الطويل وقد شرحناه في بعض الكتب فان
كنت لا تصدق به فصدق عينك فانك تأخذ قبسا من نار كانه
نقطة ثم تحركه بسرعة حركة مستقيمة فتراه خطا من نار
وتحركه حركة مستديرة فتراه الدايرة من النار والدايرة والخط
مشاهدان ومما موجودان في جسمك لا في الخارج عن جسمك
لان الموجود في الخارج هي نقطة في كل حال وانما تصير خطا
في اوقات متعاقبة فلا يكون الخط موجودا في حالة واحدة وهو
ماثبت في مشاهدتك في حالة واحدة ٥ واما الوجود الخيالي
فهو صورة هذه المحسوسات اذا غابت عن حسك فانك تقدر
على ان تخترع في خيالك صورة فيل وفرس وان كنت مغمضا عينك
حتى كانك تشاهده وهو موجود بكمال صورته في دماغك
لا في خارج واما الوجود العقلي فهو ان يكون للشيء روح
وحقيقة ومعنى فيتلقى العقل مجردا معناه دون ان يثبت
صورته في خيال او حس او خارج كاليد مثلا فانها صورة
محسوسة ومتخيلة ولها معنى هو حقيقتها وهي القدرة على
البطش فالقدرة على البطش هي اليد العقلية وللقلم صورة
ولكن حقيقته ما ينقش به العلوم وهذا يتلقاه العقل من غير
ان يكون مقرونا بصورة خشب وقصب وغير ذلك من الصور
الا الخيالية والحسية ٥ واما الوجود الشبهي فهو ان لا يكون
نقش الشيء موجودا لا بصورته ولا بحقيقته لا في الخارج ولا في الحس
ولا في الخيال ولا في العقل ولكن يكون الموجود شيأ اخر يشبهه في
خاصة من خواصه وصفة من صفاته ويستفهم هذا اذا ذكرت
لك مثاله في اثنا ويلات فهذه مراتب وجود الاشياء فصل
اسمع الآن امثلة هذه الدرجات في اثنا ويلات اما الوجود الذاتي

فلا يحتاج الى المثال وهو الذي يجري على الظاهر ولا يتأول
وهو الوجود المطلق الحقيقي وذلك كاخبار الرسول عن العرش
والكرسي السموات السبع فانه يجري على ظاهرها اذ هذه اجسام
موجودة في انفسها ادركت بالحس والخيال او لم تدرك فاما
الوجود الحسي فامثلته في اثنا ويلات كثيرة فاقتصر منها على مثالين
احدهما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيمة في صورة
كبش املح فيذبح بين الجنة والنار فان من قام عنده البرهان على ان
الموت عرض او عدم عرض وان قلنا العرض جسم مستحيل غير مفقود
فنزل الخبر على ان اهل القيامة يشاهدون ذلك ويعلمون انه الموت
ويكون ذلك موجودا في جسم لا في الخارج ويكون سببا لحصول اليقين
بالياس عن الموت بعد ذلك اذ المذبوح مايوس عنه ومن لم يعلم عنده
هذا البرهان فعساه يعتقد ان نفس الموت ينقلب كبشا في ذاته ويذبح
المثال الثاني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على الجنة في عرض
هذا الحايط فمن قام عنده البرهان على ان الاجسام لا تتداخل وان الصغير
لا يتسع للكبير حمل ذلك على ان نفس الجنة لم تنتقل الى الحايط لكن تمثل
للحس صورتها في الحايط حتى كانه يشاهدها ولا استحيل ان يشاهد
مثال شيء كبير في جرم صغير كما يشاهد السماء في مراة صغيرة
ويكون ذلك ابصارا مفارقا بمجرد تخيل صورة الجنة اذ تدرك السماء
الفرق بين ان يرى السماء في المراة وبين ان تتمثل عنك فقد صورة
السماء في المراة على سبيل التخييل واما الوجود الخيالي فمثاله
قوله عليه السلام كاني انظر الى يونس بن متى عليه السلام عليه عباءتان فهو ابتناء
بلبيّ وتلبيه الجبال وان الله تبارك وتعالى يقول لبيك يا يونس
فظاهر هذا انباء عن تمثل الصورة في خياله اذ كان وجود هذه
الحالة سابقا على وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اتعلم ذلك

www.alukah.net

فلم يكن موجودا في الخارج ولا يبعد ان يقال ايضا تمثل هذا في حسه
حتى صار يشاهده كما يشاهد النائم الصور ولكن قوله كاني انظر
يشعر بانه لم يكن حقيقة النظر بل كالنظر والغرض التفهيم
بالمثال لاعين هذه الصورة وعلى الجملة فكلام يتمثل في محل
الخيال يتصور ان يتمثل في محل الابصار فكون ذلك مشاهده
وقل ما يتميز بالبرهان استحالة المشاهدة فيما يتصور فيه التخيل
واما الوجود العقلي فامثلته كثيرة فاقنع منها بمثالين احدهما
قوله صلى الله عليه وسلم آخر من يخرج من النار يعطى من الجنة عشرة
امثال هذه الدنيا فان ظاهر هذا يشير الى انه عشرة امثالها
بالطول والعرض والمساحة وهو التفاوت الحسي ثم قد يتعجب
فيقال الجنة في السما والسما ايضا من الدنيا كما دلت عليه طولها
الاخبار فكيف تنسح السما بعشرة امثال الدنيا وقد تقطع
الاول هذا التعجب بقوله المراد به تفاوت معنوي عقلي
لاحسي وخيالي كما يقال مثلا هذه الجوهرة عشرة اضعاف العرش
اي في روح المالية ومعناها المدرك عقلا دون مساحتها
المدركة بالحس والتخيل المثال الثاني قوله عليه السلام ان الله تعالى
خمر طينة آدم بيده اربعين صباحا فقد اثبت لله يدا اقام
قام عنده البرهان على استحالة يد الله تعالى هي جارحة محسوسة
او متخيلة فيثبت لله يدا روحانية عقلية اعني انه يثبت
معنى اليد وحقيقتها قد وجد دون صورتها اذ روح اليد
ومعناها ما به يبطش ويفعل ويعطي ويمنع والله تعالى
والله يعطي ويمنع بواسطة الملائكة كما قال عليه السلام اول ما خلق
الله العقل فقال بك اعطي وبك امنع ولا يمكن ان يكون المراد
بذلك العقل عرضا كما تعتقده المتكلمون اذ لا يمكن ان يكون العرض
اول المخلوق بل يكون عبارة عن ذات ملك من الملائكة يسمى عقلا

62

من حيث يعقل الاشيا بجوهره وذاته من غير حاجة الى التعلم وربما
يسمى قلما باعتبار انه يتيقش به حقايق العلوم في الواح قلوب
الانبيا والاولياء وساير الملائكة وحيا والهاما فانه قد ورد
في حديث آخر ان اول ما خلق الله القلم فان لم يرجع ذلك الى العقل تناقض
الحديثان ويجوز ان يكون لشيء واحد اسما كثيرة باعتبارات مختلفة
فيسمى عقلا باعتبار ذاته وملكا باعتبار نسبته الى الله عز وجل
في كونه واسطة بينه وبين الخلق وقلما باعتبار اضافته الى ما يحدث
منه من نقش العلوم بالالهام والوحي كما يسمى جبريل روحا باعتبار
ذاته وامينا باعتبار ما اودع من الاسرار وذو مرة باعتبار قدرته
وشديد القوى باعتبار كمال قوته ومكينا عند ذي العرش باعتبار
قرب منزلته ومطاعا باعتبار كونه متبوعا في حق بعض الملائكة
فهذا القبيل يكون قد اثبت قلما وبدا عقليا لا حسيا وخياليا
فكذلك من ذهب الى ان اليد عبارة عن صفة لله تعالى قدرة او غيرها
اختلف فيه المتكلمون واما الوجود الشبهي فمثاله الغضب
والشوق والفرح والصبر وغير ذلك مما ورد في حق الله تعالى فان
الغضب مثلا حقيقته انه غليان القلب لارادة الانتقام وهذا
لاينفك عن نقصان والم فمن قام عنده البرهان على استحالة ثبوت
نفس الغضب لله تعالى نزله على ثبوت ذاتيا وحيويا وخياليا وعقليا
ثبوت صفة اخرى يصدر منها ما يصدر من الغضب كارادة العقاب
والارادة لا تناسب الغضب في حقيقة ذاته لكن في صفة من
الصفات تقارنها واثر من الآثار تصدر عنها وهو لا يلام فهذه
درجات التاويلات فصل اعلم ان كل من نزل قولا من اقوال
الشرع على درجة من هذه الدرجات فهو من المصدقين وانما التكذيب
ان ينفي جميع هذه المعاني ويدعي انها قاله لا معنى له وانما هو كذب
محض وغرضه فيما قاله التلبيس او مصلحة الانياء وذلك هو الكفر المحض
والزندقة

www.alukah.net

ولا يلزم الكفر الاولين ما داموا يقولون قانون التاويل كما
سنشير اليه وكيف يلزم الكفر ومامن فريق من اهل الاسلام
الا وهو مضطر اليه فابعد الناس عن التاويل احمد حنبل وابعد
التاويلات عن الحقيقة واقربها الى ان يجعل الكلام مجازا واستحالة
الوجود العقلي والوجود الشبهي والحنبلي مضطر اليه وقايل به
فقد سمعت الثقات من ائمة الحنابلة ببغداد يقولون ان احمد بن
حنبل صرح بتاويل ثلثة احاديث فقط احدها قوله صلى الله عليه وسلم
الحجر الاسود يمين الله في الارض والثاني قوله عليه السلم قلب المومن
بين اصبعين من اصابع الرحمن والثالث قوله عليه السلم اني لاجد
نفس الرحمن من قبل اليمن فانظر الآن انه كيف اول هذا حيث جانب
قام البرهان عنده على استحالة ظاهره فقول اليمين تقبل في العادة
تقربا الى صاحبها والحجر الاسود ايضا يقبل تقربا الى الله تعالى
فهو مثل اليمن لا في ذاته ولا في صفات ذاته ولكن في عارض من
عوارضه فسمي يمينا وهذا هو الذي سميناه الوجود الشبهي
وهو ابعد وجوه التاويل فانظر انه كيف اضطر اليه ابعد الناس
عن التاويل وكذلك لما استحال عنده وجود الاصبعين لله تعالى
حسا اذ من فتش عن صدره لم يحس فيه باصبعين فاوله على روح
الاصبعين وهي الاصبع العقلية الروحانية اعني ان روح الاصبع
ما به يتيسر تقليب الاشياء وقلب المومن بين لمة الملك ولمة
الشيطان وبهما تقلب الله القلوب فكفى بالاصبعين عنهما
وانما اقتصر احمد على تاويل هذه الاحاديث الثلثة لانه لم يظهر عنده
الاستحالة الا في هذا القدر لانه لم يكن ممعنا في النظر العقلي
ولو امعن لظهر له ذلك في الاختصاص بجهة فوق وغيره مما لم
يتاوله

الاشعري والمعتزلي بزيادة بحثهما حاوزوا الى تاويل
ظواهر كثيرة واقرب الناس الى الحنابلة في امور الاخرة
الاشعرية فانهم قصروا فيها اكثر الظواهر الا اليسير
والمعتزلة اشد منهم توغلا في التاويلات ومع هذا فيضطرون
ايضا الى تاويل امور اعني الاشعرية كما ذكرنا من قوله انه يؤتى
بالموت في صورة كبش املح وكما ورد من وزن الاعمال بالميزان فان
الاشعري اول فقال توزن صحايف الاعمال وتخلق فيها
اوزان بقدر درجات الاعمال وهذا رد الى الوجود الشبهي
البعيد فان الصحايف اجسام كتبت فيها رقوم تدل بالاصطلاح
على اعمال هي اعراض فليس الموزون اذا العمل بل محل نقش يدل
على العمل بالاصطلاح والمعتزلي يقول نفس الميزان وجعله
كناية عن سبب به تنكشف لكل واحد مقدار عمله
وهو ابعد عن التعسف في التاويل من وزن الصحايف وليس الغرض
تصحيح احد التاويلين بل ان يعلم ان كل فريق وان بالغ في ملازمة
الظواهر فهو مضطر الى التاويل الا ان تجاوز الحد في الغباوة
والتجاهل وقول الحجر الاسود يمين تحقيقا والموت وان
كان عرضا فستحيل كبشا بطريق الانقلاب والاعمال وان
كانت اعراضا وقد عدمت فتنقل الى الميزان وتكون فيها اعراض
هي الثقل ومن ينتهي الى هذا الحد من الجهل فقد انخلع عن غريزة العقل
فصل فاسمع الآن قانون التاويل فقد عرفت اتفاق الفرق
على هذه الدرجات الخمس في التاويل وان كان شيا من ذلك
ليس من جنس التكذيب واتفقوا ايضا على ان جواز ذلك موقوف
على قيام البرهان على استحالة الظاهر والظاهر الاول الوجود الذاتي

www.alukah.net

فانه اذا ثبت بضمن الجميع وان تعذر فالوجود الحسي فانه
ان ثبت تضمن ما بعده فان تعذر فالوجود الخيالي او العقلي
فان تعذر فالوجود الشبهي المجازي ولا رخصة في العدول عن
درجة الى ما دونها الا بضرورة البرهان فيرجع الاختلاف على التحقيق
الى البراهين اذ يقول الحنبلي لا برهان على استحالة اختصاص
الباري بجهة فوق ويقول الاشعري لا برهان على استحالة الرؤية
وكان كل واحد لا يرتضي ما ذكره الخصم ولا يراه دليلا قاطعا وكيف
كان فلا ينبغي ان يكفر كل فريق خصمه بان يراه غالطا في البرهان
نعم لجواز ان يسميه ضالا ومبتدعا اما ضالا فمن حيث انه ضل
عن الطريق عنده واما مبتدعا فمن حيث انه ابدع قولا لم يعهد
من السلف التصريح به اذ من المشهور فيما بين السلف ان الله تعالى
يرى فقول القايل لا يرى بدعة وتصريحه بنا ويل الرؤية بدعة
بل ان ظهر عنده ان تلك الرؤية معناها مشاهدة القلب
فسبغي ان لا يظهره ولا يذكره لان السلف لم يذكروه لكن عند هذا
يقول الحنبلي اثبات الفوق لله تعالى مشهور عند السلف ولم
يذكر احد منهم ان خالق العالم ليس متصلا بالعالم ولا منفصلا ولا
داخلا ولا خارجا وان الجهات الستة خالية عنه وان نسبة
جهة فوق اليه كنسبة جهة تحت فهذا قول مبتدع اذ
البدعة عبارة عن احداث مقالة غير ماثورة عن السلف
وعند هذا يتضح لك ان ههنا مقامين احدهما مع عوام
الخلق والحق فيه الاتباع والكف عن تغيير الظواهر رأسا
والبحث عن ابداع التصريح بنا ويلات لم يصرح بها الصحابة ه
ويختص باب السوال رأسا والزجر عن الخوض في الكلام والبحث

واتباع ما تشابه من الكتاب والسنة كما روي عن عمر رضي الله عنه
انه سأله سايل عن آيتين متعارضتين فعلاه بالدرة وكما روي
عن مالك لما سئل عن الاستواء فقال الاستواء معلوم والايمان به
واجب والكيفية مجهولة والسوال عنه بدعة المقام الثاني
بين النظار الذين اضطربت عقايدهم الماثورة فينبغي ان يكون
بحثهم بقدر الضرورة وتركهم الظاهر بضرورة البرهان القاطع ولا ينبغي ان
يكفر بعضهم بعضا بان يراه غالطا فيما يعتقده برهانا فان ذلك
ليس امرا هينا سهل المدرك وليكن البرهان بينهم قانون متفق عليه
يعترف كلهم به فانهم اذا لم يتفقوا في الميزان لم يمكنهم رفع الخلاف
بالوزن وقد ذكرنا الموازين الخمسة في كتاب القسطاس المستقيم
وهي التي لا تصور الخلاف فيها بعد فهمها اصلا بل يعترف كل من
فهمها بانها مدارك اليقين قطعا والمحصلون لها يسهل عليهم
عند الانصاف والانتصاف كشف الغطاء ورفع الخلاف ولكن
لا تحيل سهم الاختلاف ايضا اما القصور بعضهم عن ادراك تمام
شروطه واما الرجوع عمن في النظر الى محض القريحة والطبع دون
الوزن بالميزان كالذي يرجع بعد تعلم العروض في الشعر الى الذوق
لاستقاله عرض كل شعر على العروض فلا بعد ان يغلط واما
اختلافهم في العلوم التي هي مقدمات البراهين فان من العلوم التي هي
اصول البراهين ما هي بديهة وتواتر بينة وغيرها والناس مختلفون في
التجربة والتواتر فقد يتواتر عند واحد ما لا يتواتر عند غيره
وقد تتولى تجربة ما لا يتولاه غيره واما الالتباس قضايا الاوهام
بقضايا العقل واما الالتباس الكلمات المشهورة المحمولة بالضرورات
والاوليات كما فصلنا ذلك في كتاب محك النظر والكل بالجملة اذا حصلوا
تلك الموازين وحققوها امكنهم الوقوف عند ترك العناد على مواقع الغلط على البصير ه

www.alukah.net

فصل من الناس من يبادر الى التاويل بغلبات الظنون من غير
برهان قاطع ولا ينبغي ان يبادر ايضا الى تكفيره في كل مقام بل ينظر فيه
فان كان تاويله في امر لا يتعلق باصول العقايد ومهمات فلا نكفره
وذلك كقول بعض الصوفية ان المراد برؤية الخليل الكوكب والقمر
والشمس وقوله هذا ربي غير طاهر بل هي جواهر نورانية ملكيه
ونورانيتها عقلية لا حسية ولها درجات متفاوتة في الكمال
نسبة ما بينها في التفاوت نسبة الكوكب والقمر والشمس ويستدل عليه
بان الخليل اجل من ان يعتقد في حسه انه الاحق يحتاج الى ان يشاهد
اقوله اقول ارى انه لو لم يا ول اكان يتخذه الها ولم يعرف استحالة
الالهية من حيث كونه جسما مقدرا واستدل بانه كيف يمكن
ان يكون اول ما رآه الكوكب والشمس هو الاظهر وهو او ما يرى
واستدل ايضا بان الله تعالى قال اولا وكذلك نري ابراهيم ملكوت
السموات والارض ثم حكى هذا القول فكيف يمكن ان يتوهم ذلك
بعد كشف الملكوت له وهذه دلالات ظنية وليست ببراهين
اما قوله مو اجل من ذلك فقد قيل انه كان صبيا لما جرى له
ذلك ولا يبعد ان يخطر لنبي يكون نبيا في صباه مثل هذا الخاطر
ثم يتجاوز عن قرب ولا يبعد ان يكون دلالة الافول على
الحدوث عنده اظهر من دلالة التقدر والجسمية واما
رؤية الكوكب اولا فقد روي انه كان محبوسا في صباه في غار
وانما خرج بالليل واما قوله تعالى اولا وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات
والارض يجوز ان يكون قد ذكر الله تعالى حال نظيته ثم رجع الى
حكاية بدايته فهذه وامثالها ظنون يضطر براهين من لا يعرف
حقيقة البرهان وشرطه فهذا اجنسوا وعلموه وقد يا ولون العصا
والنعلين قوله تعالى اخلع نعليك وقوله تعالى والتوطي في بيتك ولعل الظرف مثل

65

هذه الامور التي لا تعلق باصول الاعتقاد يجري مجرى البرهان في اصول
الاعتقاد فلا نكفر فيه ولا نبدع نعم ان كان فتح هذا الباب والتصريح به
يؤدي الى تشويش قلوب العوام فيبدع به صاحبه في كل مقام يثور عن السلف
ذكره ويقرب منه قول بعض الباطنية ان يحمل السامري ما ول اذ
كيف يخلو اخلق كثير عن هذا قال يعلم ان المتخذ من الذهب لا يكون الها
وهذا ايضا ظن اذ لا يستحيل ان ينتهي جهل طايفة من الناس اليه
كعبدة الاصنام وكونه نادرا لا يورث يقينا فاما ما يتعلق من هذا
الجنس باصول العقايد المهمة فيجب تكفير من يغير الظاهر بغير
برهان قاطع كالذي ينكر حشر الاجساد وينكر العقوبات الحسية
في الاخرة بظنون واوهام واستبعادات من غير برهان قاطع فيجب
تكفيره قطعا اذ لا برهان على استحالة رد الارواح الى الاجساد
وذكر ذلك عظيم الضرر في الدين فيجب تكفير كل من نطق به وهو
مذهب اكثر الفلاسفة وكذلك يجب تكفير من قال منهم ان الله تعالى
لا يعلم الا نفسه اذ لا يعلم الا الكليات فاما الامور الجزوية المتعلقة
بالاشخاص فلا يعلمها لان ذلك تكذيب للرسول قطعا وليس من قبيل
الدرجات التي ذكرناها في التاويل اذ ادلة القرآن والاخبار على تفهيم
حشر الاجساد وتفهيم علم الله تعالى بتفصيل كل ما جرى على الاشخاص
بحاوز حدا يقبل التاويل وهم معترفون بان هذا ليس من التاويل
ولكن قالوا لما كان صلاح الخلق في ان يعتقدوا حشر الاجساد لقصور
عقولهم عن فهم المعاد العقلي وكان صلاحهم في ان يعتقدوا ان الله تعالى
عالم بما يجري عليهم ورقيب عليهم ليورث ذلك رغبة ورهبة في قلوبهم
جاز للرسول ان يفهمهم ذلك وليس بكاذب من اصلح غيره فقال ما فيه
صلاحه وان لم يكن كما قاله وهذا القول باطل قطعا لانه تصريح بالتكذيب
ثم طلب عذرا في انه لم كذب وتجب اجلال منصب النبوة عن هذه الرذيلة
ففي الصدق واصلاح الخلق به مندوحة عن الكذب وهذا اول درجات الزندقة

وهي رتبة بين الاعتزال وبين الزندقة المطلقة فان المعتزلة تقرب
منها جهم من منهاج الفلاسفة الا في هذا الامر الواحد وهو ان المعتزلي
لا يجوز الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل هذا العذر بل يأول الظاهر
مما ظهر له بالبرهان خلافه والفلسفي لا يقتصر مجاوزته للظواهر
على ما يقبل التاويل على قرب او على بعد واما الزندقة المطلقة
فهو ان ينكر اصل المعاد عقلا وحسا وينكر الصانع للعالم اصلا ورأسا
اما اثبات المعاد بنوع عقل مع نفي الآلام واللذات الحسية واثبات
الصانع مع نفي علمه بتفاصيل الامور فهي زندقة مضيقة بنوع اعتراف
بصدق الانبياء وظاهر ظني والعلم عند الله تعالى ان هؤلاء هم المرادون
بقوله عليه السلام ستفترق امتي نيفا وسبعين فرقة كلهم في الجنة الا الزنادقة ٥
وهي فرقة هذا لفظ الحديث في بعض الروايات وظاهر الحديث يدل
على انه اراد به الزنادقة من امته اذ قال ستفترق امتي ومن لم
يعترف بنبوته فليس من امته والذين ينكرون اصل المعاد واصل الصانع
فليسوا معترفين بنبوته اذ يعلم ان الموت علم محض وان العالم لم
يزل كذلك موجودا بنفسه من غير صانع ولا يؤمنون بالله واليوم
الآخر ويسبون الانبياء الى التلبيس فلا يمكن نسبتهم الى الامة
فاذا الامعنى لزندقة هذه الامة الا ما ذكرناه ٥ فصل
اعلم ان شرح ما يكفر به وما لا يكفر يستدعي تفصيلا طويلا يقصر
الى ذكر كل المقالات والمذاهب وذكر شبهة كل واحد ودليله
ووجه بعده عن الظاهر ووجه تاويله وذلك لا يحويه مجلدات
وليس تتسع لشرح ذلك اوقاتي فاقنع الآن بوصية وقانون
اما الوصية فان تكلف لسانك عن اهل القبلة ما امكنك
ما داموا قائلين لا اله الا الله محمد رسول الله غير مناقضين لها
والمناقضة تجويزهم الكذب على رسول الله بعذر او غير عذر فان التكفير
فيه خطر والسكوت لا خطر فيه ٥ واما القانون

فهو ان يعلم ان النظريات قسمان قسم يتعلق باصول القواعد وقسم
يتعلق بالفروع ٥ واصول الايمان ثلثة الايمان بالله وبرسوله وباليوم
الآخر وما عداه فروع فاعلم انه لا تكفير في الفروع اصلا لكن في بعضها
تخطئة كما في الفقهيات وفي بعضها تبديع كالخطأ المتعلق بالامامة ؟
واحوال الصحابة واعلم ان الخطأ في اصل الامامة وتعيينها وشروطها
وما يتعلق بها لا يوجب شيئا منه تكفيرا فقد انكر ابن كيسان اصل وجوب الامامة
ولا يلزم تكفيرهم ولا يلتفت الى قوم يعظمون امر الامامة ويجعلون
الايمان بالامام مقرونا بالايمان بالله ورسوله ولا الى خصومهم المكفرين لهم
بجرد مذهبهم في الامامة فكل ذلك اسراف اذ ليس في احد القولين
تكذيب الرسول اصلا ومهما وجد التكذيب وجب التكفير وان كان في
الفروع فلو قال قائل البيت الذي بمكة ليس هو الكعبة التي امر الله تعالى
بحجها فهذا اكفر اذ ثبت تواتر اعتراف رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافه ولو انكر
شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك البيت انه الكعبة لم ينفعه انكاره بل
يعلم قطعا انه معاند في انكاره الا ان يكون قريب عهد بالاسلام ولم تتواتر
عنده ذلك وذلك من نسب عائشة رضي الله عنها الى الفاحشة
وقد نزل القرآن ببراءتها فهو كافر لانه هذا وامثاله لا يمكن الا بتكذيب
او انكار المتواتر والمتواتر ينكره المنكر بلسانه ولا يمكنه ان يجحده بقلبه
نعم لو انكر ما ثبت باخبار الآحاد فلا يلزمه به الكفر ولو انكر ما ثبت
بالاجماع فهذا فيه نظر لان معرفة كون الاجماع حجة مختلف فيه فهذا حكم الفروع ٥
واما الاصول الثلثة فكل ما يحتمل التاويل في نفسه وتواتر نقله
ولا يتصور ان يقوم برهان على خلافه فمخالفته تكذيب محض ومثاله
ما ذكرناه من حشر الاجساد واحاطة علم الله تعالى بتفاصيل الامور وما
ينطرق اليه احتمال فتاويله ولو بالمجاز البعيد فنظر فيه الى البرهان
فان كان قاطعا وجب القول به لكن ان كان في اظهاره مع العوام ضرر
[illegible] فظاهر بدعته وان لم يكن البرهان قاطعا لكن يفيد ظنا غالبا

وكان مع ذلك لا يعظم ضرره في الدين كنفي المعتزلة الرؤية عن الباري سبحانه
فهذه بدعة وليس بكفر وامّا ما يظهر له ضرر فيقع في محل الاجتهاد
والنظر فيحتمل ان يكفر ويحتمل ان لا يكفر ومن جنس ذلك ما يدّعيه
بعض من يدعي التصوف انه قد بلغ حاله بينه وبين الله الى حيث
سقطت عنه الصلاة وحلّ له شرب المسكر والمعاصي واكل مال السلطان
فهذا ممن لا اشك في وجوب قتله وان كان في الحكم بخلوده في النار
تطويل وقتل هذا افضل من قتل مائة كافر اذ ضرره في الدين اعظم
وسفح به باب من الاباحة لا ينسد دو ضرر هذا فوق ضرر من
يقول بالاباحة مطلقا فانه ممتنع عن الاصغاء اليه لظهور كفره
امّا هذا فيهدم الشرع من اصله ويزعم انه لم يرتكب فيه الا تخصيص
عموم اذ خصص عموم التكليف بمن ليس له مثل درجته في الدين
ورعما زعم انه يلابس الدنيا ويفارق المعاصي بظاهره وهو بباطنه بريء
عنها ويتمادى هذا الى ان يدعي كل فاسق مثل حاله ويحل به عصام
الشرع ولا ينبغي ان تظن ان التكفير وبفيه ينبغي ان يدرك قطعا في كل
مقام بل التكفير حكم شرعي يرجع الى اباحة المال وسفك الدم
والحكم بالخلود في النار فيأخذ كما تأخذ سائر الاحكام الشرعية
وتارة يدرك بيقين وتارة بظن غالب وتارة يتردد فيه ومما يحصل
تردد فالتوقف في التكفير اولى والمبادرة الى التكفير انما يغلب
على طباع من يغلب عليهم الجهل فلا بد من التنبيه لقاعدة اخرى
وهو ان المخالف قد يخالف نصا متواترا او يزعم انه ما وقف ولكن تأويله
لا انقداح له اصلا في اللسان لا على قرب ولا على بعد فذلك كفر
وصاحبه مكذب وان كان يزعم انه ما وقف ومثاله ما رأيته
في كلام بعض الباطنية ان الله تعالى واحد بمعنى انه يعطي الوجود
وخلقها وعالم بمعنى انه يعطي العلم وخالقه لغيره وموجود
بمعنى انه يوجد غيره واما انه يتصف بنفسه واحدا وموجودا
وعالما على معنى اتصافه به فلا وهذا انكر صراح لان حمل الوحدة على ايجاد

الوحدة ليس من التأويل في شيء ولا يحتمله لغة العرب اصلا ولو كان خالق
الوحدة يسمى واحدا لخلقه للوحدة لسمي ثلثا واربعا لانه خلق الاعداد ايضا
فامثلة هذه المقالات تكذيبات عبّر عنها بالتأويلات فصل
وقد تمهد من هذه التقسيمات ان النظر في التكفير يتعلق بامور احدها
ان النص الشرعي الذي علق عرظاهره يحتمل التأويل ام لا وان احتمل فهو
قريب ام بعيد ومعرفة ما يقبل التأويل وما لا يقبل ليس بالهين بل
لا يستقل به الا الامام الحاذق في علم اللغة العارف باصل اللغة
ثم بعادة العرب في الاستعمال في استعارتها وتجوزها ومنها جها
في ضرب الامثال الثاني في النص المتروك انه ثبت تواترا او آحادا
او ثبت بالاجماع المجرد فان ثبت تواترا فهو على شرط التواتر ام لا
اذ ربما يظن المستفيض تواترا وحدّ المتواتر ما لا يمكن الشك فيه
كالعلم بوجود الانبياء ووجود البلاد المشهورة وغيرها وانه متواتر في
الاعصار كلها عصرا بعد عصر الى زمان النبوة ام يتصور ان يكون قد انقطع
عدد التواتر في عصر من الاعصار وشرط التواتر ان لا يحتمل ذلك كما في القرآن
اما في القرآن فبعض مدرك ذلك جدا ولا يستقل بادراكه الا الباحثون
عن كتب التواريخ واحوال القرون الماضية وكتب الاحاديث واحوال
الرجال واغراضهم في نقل المقالات اذ قد يوجد عدد التواتر في كل عصر
ولا يحصل به العلم اذ كان يتصور ان يكون للجمع الكثير رابطة في التوافق
لا سيما بعد وقوع التعصب بين ارباب المذاهب ولذلك ترى الروافض
يدعون النص على علي رضي الله عنه في الامامة متواترا عندهم وتواتر عند
خصومهم في اشياء كثيرة خلاف ما تواتر عندهم لشدة توافق الروافض
على افاضة الكاذبين واشاعتها واما ما يستند الى الاجماع فمدرك
ذلك من امحض الاشياء اذ شرطه ان يجمع اهل الحل والعقد صعيدا واحدا
فيتفقون على امر اتفاقا ملفوظا صريحا ثم تستمر عليه مدة عند قوم
والى تمام انقراض العصر عند قوم او يكاتبهم امام في اقطار الارض فيأخذ
فتاويهم في ديوان واحد بحيث تتفق اقوالهم اتفاقا قاطعا حتى يمتنع الرجوع
والخلاف بعده ثم النظر في ان من خالف بعد هل يكفر او من الناس من قال

www.al-maktabeh.com

اذ اجاز في ذلك الوقت ان يحملوا محتملوا توافقهم على الاتفاق ولا يمتنع
على واحد منهم ان يرجع بعد ذلك وهذا ايضا غامض البالث النظر فان
صاحب المقالة هل تواتر عنك الخبر او هل بلغه الاجماع اذ كل من يولد
لا تكون الامور عنده متواترة ولا مواقع الاجماع عنده متميزة عن مواضع الخلاف
انما يدرك ذلك شيئا فشيئا وانما يعرف ذلك من مطالعة الكتب المصنفة
في الاختلاف والاجماع للسلف ثم لا يحصل العلم في ذلك بمطالعة تصنيف
وتصنيفين اذ لا يحصل تواتر الاجماع به وقد صنف ابو بكر الفارسي رحمه الله
كتابا في مسائل الاجماع وانكر عليه كثير منه وخولف في بعض تلك المسائل
فاذا من خالف الاجماع ولم يثبت عنده بعد فهو جاهل مخطئ وليس بكاذب
فلا يمكن تكفيره والاستدلال بمعرفة التحقيق في هذا ليس بسديد
الرابع النظر في دليله الباعث له على محالفة الظاهر اما على شرط البرهان
ومعرفة شروط البراهين لا يمكن شرحها الا في مجلدات وقد ذكرناها في
كتاب القسطاس وكتاب محك النظر انموذج منه وكل قرنجه اختلال
الزمان عن فهم شروط البرهان على الاستيفاء ولا بد من معرفة ذلك فان البرهان
اذا كان قاطعا رخص في التاويل وان كان بعيدا واذا لم يكن قاطعا لم يرخص الا في تاويل
قريب سابق الى الفهم الخامس في ان ذكر تلك المقالة هل يعظم ضرره في
الدين ام لا فان ما لا يعظم ضرره فالامر فيه اسهل وان كان القول شنيعا فظاهر
البطلان كقول المنظر ان الامام مختف في سرداب وانه ينتظر خروجه
فانه قول كاذب ظاهر البطلان يشنع جدا ولكن لا ضرر فيه على الدين انما
الضرر على الاحمق المعتقد لذلك اذ تخرج كل يوم من بلده لاستقبال الامام
حتى يدخل ويرجع الى بيته خائبا وهذا مثال والمقصود انه لا ينبغي ان يكفر
بكل هذيان وان كان ظاهر البطلان واذا فهمت ان النظر في التكفير موقوف
على جميع هذه المقالات التي لا تستقل باحاطة المبرزون علمت ان المبادرة
الى تكفير من خالف الاشعري او غيره جاهل مجازف وكيف يستقل
الفقيه بمجرد الفقه بهذا الخطب العظيم وفي اي ربع من ارباع الفقه
يتصادف هذه العلوم فاذا ارادت الفقيه الذي بضاعته مجرد الفقه تخوض في
التكفير والتضليل فاعرض عنه ولا تشتغل به قلبك ولسانك فان التجدي

بالعلوم غير مزين في الطبع لا تصبر عنه الجهال ولاجله كثر الخلاف بين
الناس ولو سكت من لا يدري لقل الخلاف بين الخلق فصل من اشد
الناس غلوا واسرافا طائفة من المتكلمين كفروا عوام المسلمين وزعموا
ان من لا يعرف الكلام معرفتنا ولم يعرف العقايد الشرعية بادلتنا التي حررناها
فهو كافر فهؤلاء ضيقوا رحمة الله الواسعة على عباده اولا وجعلوا الجنة
وقفا على شرذمة يسيرة من المتكلمين ثم جهلوا ما تواتر من السنة
ثانيا اذ ظهر من عصر الرسول عليه السلم وعصر الصحابة حكمهم باسلام طوائف
من اجلاف العرب كانوا مشتغلين بعبادة الوثن ولم يشتغلوا بتعليم الادلة
ولو شغلوا بها لم يفهموها ومن اين ان مدرك الايمان الكلام والادلة المحررة
والقسمات المرتبة فقد ابعد لا يسل الايمان نور يقذفه الله تعالى في
قلب عبده عطية وهدية من عنده تارة بتنبيه من الباطن لا عن
التعبير عنه وتارة بسبب رويا في المنام وتارة بمشاهدة حال رجل
متدين وسراية نوره اليه عند صحبته ومجالسته وتارة بقرينة حال
فقد جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جاحدا له منكرا فكان وقع بصره على طلعته
البهية فرآها تملا لا منه انوار النبوة قال والله ما هذا بوجه كذاب وسأله
ان يعرض عليه الاسلام وجاء اليه عليه السلم وقال انشدك الله ان الله بعثك
نبيا فقال اي والله الذي بعثني نبيا فصدقه بمجرد واسلم فهذا وامثاله
مما لا يحصى ولم يشتغل واحد منهم بالكلام وتعلم الادلة بل كان يبدو انور
الايمان اولا بمثل هذه القرائن في قلوبهم لمعة بيضاء لا يزال تزداد اشراقا
بمشاهدة تلك الاحوال العظيمة وتلاوة القرآن وصفية القلوب
فليت شعري متى تعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة اعضاء اعرابي اسلم
وقوله له الدليل على ان العالم حادث انه لا يخلو عن الاعراض وما لا يخلو عن
الحوادث فهو حادث وان الله تعالى عالم وقادر بعلم وقدرة زايدين على الذات لا اعلمهم
ولا ادعوك الى غير ذلك من رسوم المتكلمين ولست اقول لم يجز بهذه الالفاظ
بل لم اجز ايضا ما معناه معنى هذه الالفاظ بل كان لا تنكشف جملة الامر
جماعة من الاجلاف يسلمون تحت ظلال السيوف وجماعة من الاسارى يسلمون
واحدا واحدا بعد طول الزمان وعلى القرب فكانوا اذا نطقوا بكلمة الشهادة علموا
الصلوة والزكوة وردوا الى صناعتهم من رعاية الغنم او غيرها نعم لست انكر ان تحرر

ان يكون ادلة المتكلمين احد اسباب الايمان في حق بعض الناس ولكن ذلك ليس
بمقصور عليه وهو ايضا نادر بل الانفع الكلام الجاري في معرض الوعظ كما
يشتمل عليه القرآن واما الكلام المجرد على رسم المتكلمين فانه يشعر نفوس
المستمعين بان فيه صنعة جدل ليحترز عنه العامي لا لكونه حقا في نفسه
وربما يكون ذلك سببا لرسوخ العناد في قلبه وذلك لانك لا ترى مجلس مناظرة
للمتكلمين ولا للفقهاء ينكشف عن واحد انتقل عن اعتزال او بدعة الى الحق
ولا عن مذهب الشافعي الى مذهب ابي حنيفة ولا على العكس ويجري هذه
الانتقالات باسباب اخر حتى في القتال بالسيف ولذلك لم تجر
عادة السلف بالدعوة بهذه المجادلات بل يشددون القول على من يخوض
في الكلام ويشتغل بالبحث والسؤال واذا تركنا المداهنة ومراقبة
الجوانب صرحنا بان الخوض في الكلام حرام لكثرة الآفة فيه الا لاحد
شخصين رجل وقعت له شبهة ليست تزول بكلام قريب وعظي
ولا بحديث نقلي عن قلبه فيجوز ان يكون القول المرتب الكلامي رافعا
شبهته ودواله في مرضه فيستعمل معه ويحرس فيه سمع الصحيح
الذي ليس به ذلك المرض فانه يوشك ان يحرك في نفسه اشكالا
ويثير له شبهة تمرضه وتستنزله عن اعتقاده المحروم الصحيح
والثاني شخص كامل العقل راسخ القدم في الدين ثابت الايمان بانوار اليقين
يريد ان يحصل هذه الصنعة ليداوي بها من مرض اذا وقعت له
شبهة ولقحم به مبتدعا اذا ابتدع ولحرس به معتقده اذا
قصد مبتدع اغواءه فتعلم ذلك لهذا الغرض من فروض الكفايات
وتعلم قدر ما يزيل الشك والشبهة في حق المتشكك فرض عين
اذا لم يمكن اعادة اعتقاد المحروم بطريق آخر سواه والحق الصريح
ان كل من اعتقد ما جاء به الرسول صلى الله عليه واستدل عليه القرآن اعتقادا
جزما فهو مؤمن وان لم يعرف ادلته على الايمان المستفاد من الادلة
الكلامي ضعيف جدا مشرف على التزلزل بكل شبهة بل الايمان
الراسخ ايمان العوام الحاصل في قلوبهم في الصبي بتواتر السماع او

الحاصل بعد البلوغ بقرائن لا يمكن التعبير عنها وتمام تاكده بملازمة
العبادة والذكر فان من تادب به العبادة الى حقيقة التقوى وتطهر
الباطن عن دورات الدنيا وملازمة ذكر الله تعالى دائما تجلت له انوار
المعرفة وصارت الامور التي كان قد اخذها تقليدا عنده كالمعاينة
والمشاهدة وذلك حقيقة المعرفة التي لا تحصل الا بعد انجلاء عقلة
الاعتقادات وانشراح الصدر بنور الله ومن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام فهو على نور من ربه كما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرح
الصدر فقال نور يقذف في قلب المؤمن فيقبل وما علامته فقال التجافي عن
دار الغرور والانابة الى دار الخلود فبهذا تعلم ان المتكلم المقبل على الدنيا
المتهالك عليها غير مدرك حقيقة المعرفة ولو ادركها التجافي عن دار الغرور قطعا

فصل لعلك تقول انت تاخذ التكفير من التكذيب للنصوص الشرعية
والشارع صلوات الله عليه وسلامه هو الذي ضيق الرحمة على الخلق دون المتكلم
اذ قال عليه السلام يقول الله تعالى لآدم عليه السلام يوم القيمة يا آدم ابعث
من ذريتك بعث النار فيقول يا رب من كم كم فيقول الله تعالى من كل
الف تسعمائة وتسعة وتسعون وقال عليه السلام ستفترق امتي على نيف
وسبعين فرقة الناجية منها واحدة الجواب ان الحديث الاول
صحيح ولكن ليس المعنى به انهم كفار يخلدون بل انهم يدخلون النار ويعذبون
عليها وتزكو فيها بقدر معاصيهم والمعصوم من المعاصي لا يكون في الالف
الا واحدا ولذلك قال تعالى وان منكم الا واردها ثم ننجي الذين اتقوا
عمن استوجب النار بذنوبه ويجوز ان يصرفوا عن طريق جهنم بالشفاعة كما ورد
به الاخبار وتشهد الاخبار الكثيرة على سعة الرحمة وهي اكثر من ان تحصى
فمنها ما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت فقدت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة
فابتغيته فاذا هو في مشربة يصلي فرايت على راسه انوارا ثلثة فلما قضى
صلاته قال مهيم من هذه قلت انا عائشة يا رسول الله قال رايت الانوار
الثلثة قلت نعم يا رسول الله فقال اني آت اتاني مرسول ربي فبشرني ان الله يدخل
الجنة من امتي مكان كل واحد سبعين الفا بغير حساب ولا عذاب ثم اتاني في النور
الثاني آت من ربي فبشرني ان الله يدخل من امتي مكان كل واحد من السبعين الفا سبعين الفا
بغير حساب ولا عذاب

ثم اثاني في النور الثالث آت من ربي فبشرني ان الله عز وجل يدخل من امتي مكان
كل واحد من السبعين الفا المضاعفة سبعين الفا بغير حساب ولا عذاب فقلت
يا رسول الله لا تبلغ هذا امتك قال يكملون لكم من الاعراب من لا يصوم ولا يصلي
فهذا وامثاله من الاخبار الدالة على سعة الرحمة كثير فهذا في امة محمد صلى الله عليه
خاصة وانا اقول الرحمة تشمل اكثر الامم السالفة وان كان اكثرهم يعرضون
على النار اما عرضة خفيفة حتى في لحظة او في ساعة واما في مدة حتى ينطلق عليهم
اسم بعث النار بل اقول اكثر نصارى الروم والترك في هذا الزمان تشملهم الرحمة
اعني الذين هم في اقاصي الروم والترك ولم تبلغهم الدعوة فانهم ثلثة اصناف
صنف لم يبلغهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم اصلا فهم معذورون وصنف بلغهم اسمه
وبعثه وظهر عليه من المعجزات وهم المجاورون لبلاد الاسلام والمخالطون لهم وهم
الكفار المخالطون وصنف ثالث بين الدرجتين بلغهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم وبلغهم
بعثه وصفته بل سمعوا منذ الصبي ان كذابا ملبسا اسمه محمد ادعى النبوة
كما سمع صبيانا ان كذابا يقال له المقفع لعنه الله يحدو بالنبوة كاذبا فهو لا
عندي في معنى الصنف الاول فانهم مع انهم سمعوا صفته سمعوا اضداده
وهذا لا يحرك داعية النظر في الطلب واما الحديث الاخر وهو قوله الناجية
منها واحدة فالرواية مختلفة فيه فقد روى الهالكة منها واحدة وكلن الاشهر
تلك الرواية ومعنى الناجية هي التي لا تعرض على النار ولا تحتاج الى الشفاعة بل
الذي يتعلق به الزنابنية لجرها الى النار فليس بناج على الاطلاق وان تترع بالشفاعة
عن بعض اهلها وفي رواية كلها في الجنة الا الزنادقة وهي فرقة ويمكن ان يكون الراد بالكل
كلها صحيحة ويكون الهالكة واحدة وهي التي تخلد في النار ويكون الهالكة عبارة عمن
وقع الياس عن خلاصه لان الهالك لا يرجى له بعد الهلاك خير ويكون الناجية
واحدة وهي التي تدخل الجنة بغير حساب ولا شفاعة لان من نوقش في الحساب فقد عذب
فليس بناج اذا ومن عرض للشفاعة فقد عرض للمذلة فليس بناج ايضا على الاطلاق
وهذا ان كثر فاذن ما عبارات عن عشر الخلق وحيزه وباقي الفرق كلهم يدخلون
الدرجتين فمنهم من يعذب بالحساب فقط ومنهم من يقرب من النار ثم يصرف
بالشفاعة ومنهم من يدخل النار ثم يخرج على قدر خطاياهم في عقايدهم وبدعتهم وعلى حسب
كثرة معاصيهم وقلتها فاما الهالكة المخلدة في النار من هذه الامة فهي فرقة واحدة
وهي التي كذبت وجودت الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمصلحة واما مسار الامم

فمن كذبه بعد ما قرع سمعه على التواتر خروجه وصفته ومعجزته الخارقة للعادة
مثل القمر وتسبيح الحصا ونبع الماء من بين اصابعه والقرآن المعجز الذي تحدى به
اهل الفصاحة فعجزوا عنه فاذا قرع ذلك سمعه فاعرض وتولى ولم ينظر فيه ولم
يتأمل ولم يبادر الى التصديق فهذا هو الجاحد المكذب وهو الكافر ولا يدخل في هذا
اكثر الروم والترك الذين بعد بلادهم عن بلاد الاسلام بل اقول من قرع سمعه هذا
فلا بد وان تنبعث منه داعية للطلب ليتبين حقيقة الامر ان كان من اهل الدين
ولم يكن من الذين استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة فان لم تنبعث هذه الداعية فذلك
لركونه الى الدنيا وخلوه عن الخوف وخطر امر الدين وذلك كفر وان بعثت الداعية
فقصر في الطلب فهو ايضا كافر لم يؤد الايمان بالله واليوم الآخر من اهل كل ملة لا يمكنه
ان يفتر عن الطلب بعد ظهور المحايل بالاسباب الخارقة للعادة فان اشتغل
بالنظر والطلب ولم يقصر فادركه الموت قبل تمام التحقيق فهو ايضا معفو له
ثم له الرحمة الواسعة فاستوسع رحمة الله تعالى ولا تزل الامور الالهية بالموازين
المختصرة الرسمية واعلم ان الآخرة قريب من السماء فما خلق ولا بعث الا
كنفس واحدة وكما ان اكثر اهل الدنيا في رحمة او في سلامة او في حالة يغبطها
اذ لو خير بينها وبين الاماتة واعدام منلا لاختارها وانما المعذب الذي يتمنى
الموت نادر فكذلك الملحدون في النار بالاضافة الى الناجين والمخرجين منها
في الآخرة نادر فان صفة الرحمة لا تتغير باختلاف احوال الناس في الآخرة
والدنيا عبارة عن اختلاف احوالك ولولا هذا لما كان لقوله عليه السلام معنى حيث
قال اول ما خط الله في الكتاب الاول انا الله لا اله الا انا سبقت رحمتي
غضبي فمن شهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فله الجنة واعلم ان
اهل البصائر قد انكشف لهم سعة الرحمة وشمولها باسباب ومكاشفات
يسوي ما سمعوه من الاخبار والآثار ولكن ذكر ذلك يطول فالبشرى رحمة الله تعالى
والنجاة المطلقة ان جمعت بين الايمان وبين اتيان الصالح والهلاك المطلق
ان خلوت عنها جميعا وان كنت صاحب يقين في اصل التصديق وصاحب
خطا في بعض التاويلات او صاحب شك فيها او صاحب خلل في الاعمال
فلا تطمع في النجاة المطلقة واعلم انك بين ان تعذب ثم تخلد
وبين ان يشفع فيك من يقفت صدقه في جميع ما جاء به او عفا واجتبى
ان يعفو عنك الله بفضله عن شفاعة الشفعاء فان الامر في ذلك مخيل

فصل قد ظن بعض الناس ان ما اخذ السفيه من العقل من الشرع اعني
الجاهل بالله كافر والعارف به مومن فيقال له الحكم باباحة الدم والخلود في
النار حكم شرعي لا معنى له قبل ورود الشرع وان اراد به ان المفهوم من الشارع
ان الجاهل بالله هو الكافر فهذا لا يمكن حصره فيه لان الجاهل بالرسول
وبالاخرة ايضا كافر ثم ان خصص ذلك بالجهل بذات الله تعالى وصفاته
او وحدانيته ولم يطرده في الصفات فربما سوغ عليه وان جعل الخطي
في الصفات ايضا جاهلا وكافرا لزمه تكفير من نفى صفة البقاء وصفة القدم
ومن نفى الكلام وصفاته زايدا على العلم ومن نفى السمع والبصر زايدا على العلم ومن نفى
جواز الرؤية ومن اثبت الجهة واثبت اراة حادثة في ذاته اولا في محل او
تكفير المخالفين فيه وبالجملة يلزم التكفير في كل مسئلة تتعلق بصفات الله تعالى
وذلك مما لا مستند له وان خصص بعض الصفات دون بعض لم يجد لذلك
قبولا ومردا فلا وجه الا الضبط بالتكذيب لنفي المكذب بالرسول والمعاد
ويخرج منه المأول ثم لا يبعد ان نفع الشك والنظر في بعض المسايل من جملة
التاويل والتكذيب حتى يكون التاويل بعيدا ويقضي فيه بالظن وموجب الاجتهاد
وقد عرفت ان هذه المسئلة اجتهادية فصل من الناس من فرق بين ما اكفر
من يكفر بين الفرق ومن لا يكفر بنى فلا وهذا ايضا ماخذه فان قول القايل على رضي الله عنه
اولى بالسلامة ان لم نكفر فان خطي صاحبه ونظن ان المخالف فيه كافر ام بصير
كافرا وبنى عليه احكام في مسئلة شرعية وكذلك الحنبلي اذا لم يكفر باتيانه
الجهة ثم ظن بان يغلط ونظن ان في الجهة مكذب وليس بمأول والمتاول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قذف احد المسلمين صاحبه بالكفر فقد
باء احدهما ومعناه ان يكفر مع معرفته بحاله فمن عرف من غيره انه صدق
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكفره فيكون الكفر كفرا فاما ان يكفره لظنه انه
مكذب بما اتى به ولم يغلط منه في حال شخص واحد اذا يظن به انه كاذب
مكذب والله اعلم هذا لا يكون كفرا فقد اقدناك على التورات
الشديد على عظم الغرور في هذه القاعدة وعلى القانون الذي ينبغي
ان يتبع فيه واقنع به والسلام تم بحمد الله الكتاب
ووقع عند الفراغ من كتابة هذا الفصل العزيز الوطري عن نسخة صحيحة يوم الاربعا
لعدة مضت من شهر ذي القعدة سنة ثمان وثلثين وتسعمايه حامدا لربه
ومصليا على نبيه محمد وآله الطيبين

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısmı: Şehid Ali paşa
Yeni: 1712